ثقافات الشعوب

@ketab_n
Follow Me
9.9.2014

@ketab_n
Follow Me

أميرة مدينة العاج

حكايات شعبية من الهند

جمع: توماس جوزيف جاكوبس
ترجمة: شاكر حسن راضي

أميرة مدينة العاج

حكايات شعبية من الهند

جمع:
توماس جوزيف جاكوبس

ترجمة:
شاكر حسن راضي

Twitter: @ketab_n

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

أميرة مدينة العاج

حكايات شعبية من الهند

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

أميرة مدينة العاج: حكايات شعبية من الهند

© حقوق الطبع محفوظة

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8.J19.In12 2009
Jacobs, Joseph 1854-1916.
[Indian Fairy Tales]

أميرة مدينة العاج: حكايات شعبية من الهند/ جمع جوزيف جاكوبس؛ ترجمة شاكر حسن راضي.
- ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
152ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-352-5
ترجمة كتاب: Indian Fairy Tales
1 - القصص الشعبية الهندية. 2 - الحكايات الهندية. أ- راضي، شاكر حسن. ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
تمهيد	13
درس للملوك	21
الكبرياء يسبق السقوط	27
الراجا راسالو	32
حمار في جلد أسد	52
الفلاح والمرابي	55
ولد على جبينه قمر وعلى ذقنه نجمة	60
الأمير والفقير	92
لماذا ضحكت السمكة؟	101
العفريت ذو الشعر الأشعث	111
مدينة العاج وأميرتها الساحرة	119
حكاية عشاء الشمس والقمر والريح	144
كيف تعرض الأولاد العاقون للخداع؟	147
الحمامة والغراب	149

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

Twitter: @ketab_n

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

هذه «كليلة ودمنة» و«ألف ليلة وليلة» ولكن بنكهة وتوابل هندية: عالم من السحر قائم على المخيلة الشعبية المبدعة التي ظلت تغذي وتبتكر وتضيف إلى هذه الحكايات عبر القرون من دون أن تغير في جوهرها ومضمونها الأخلاقي. وكما بيّن معدّ ومحرر هذه المجموعة في ملاحظاته فهناك تداخل واضح وجلي في أسلوب السرد والحبكة والمواضيع ما بين الحكايات الهندية وكليلة ودمنة أو ألف ليلة وليلة. وسنجد كلمات عربية وفارسية وحتى إشارات إلى حكايات مستمدة من مجنون ليلى والقصص الشعبي العربي. بالإضافة إلى ذلك نجدها متداخلة مع حكايات شعبية من أفريقيا وأوروبا القرون الوسطى وأمريكا لكن الأصل الذي يقتفي الباحث أثره في نهاية المطاف هو بلاد الهند أو البنغال أو كما يسميها جايكوبس «شبه الجزيرة الهندية».

Twitter: @ketab_n

ربما يستغرب القارئ المعاصر الذي جرفته ثورة المعلومات من طبيعة القصص المعروضة في هذا الكتاب وتركيبتها، ولكن المثير للاهتمام أن الخيال الجامح الذي يميز هذه الحكايات الشعبية القديمة يلتقي مع ما وفرته ثورة التقنية الحديثة من إمكانات للتلاعب بالصورة والصوت والعودة إلى عوالم بدائية سحيقة تستقطب اهتمام الصغار والكبار وتعرضها في شكل أفلام متحركة للأطفال أو خيال علمي للكبار وبذلك تلغي عامل الزمن والفجوة السحيقة بين أجيال البشرية في مختلف أرجاء المعمورة.

تنقل لنا هذه المجموعة من قصص الخيال أفكاراً وصوراً ورموزاً من أرض العجائب وبلاد المتناقضات: الراجا والفقير، الأمير والشحاذ، الأسد والأرنب، الأميرة والخادمة، الخير والشر، الكركي الطيب والكركي الخبيث، الثراء الفاحش والفقر المدقع. هي الهند بكل تناقضاتها وأهوالها وسحرها، بطبيعتها الساحرة وشمسها الحارقة، بحيواناتها الغريبة والنادرة، وبفلسفتها الروحية والصوفية، وبخرافاتها وواقعها. ورغم ذلك لا تخرج هذه الحكايات عن الشكل المألوف لدى قارئ ألف ليلة وليلة وغيرها من الحكايات الشعبية الخيالية.

Twitter: @ketab_n

لكن الأصول تعود دائماً إلى الهند كما يؤكد معظم الباحثين الذين أشار إليهم محرر هذه المجموعة. ويؤكد هؤلاء أن هذه الحكايات ربما تكون قد وصلت إلى الغرب خلال فترة الحروب الصليبية عبر التجار والبعثات التبشيرية وغيرها من وسائل الاتصال الشفهي .

تلقي هذه الحكايات الضوء على طريقة عيش سكان هذه البلاد وتفكيرهم ومعتقداتهم التي تعود جذورها إلى آلاف السنين وإلى أصول ومؤثرات دينية وثقافية وسلوكية متباينة انعكست في طريقة السرد والمخيلة والأحلام والطموحات الشعبية البسيطة التي تتجسد في الحصول على لقمة العيش التي كانت ولا تزال عزيزة يسعى خلفها أبناء هذه البلاد في مشارق الأرض ومغاربها. فهم يشحذون الخيال لأجل تحقيق العدل والمساواة وردم الهوة بين الأغنياء والفقراء عبر أحداث وثيمات تشبه إلى حد كبير ما تقدمه السينما الهندية الحديثة وما أشبه اليوم بالبارحة!

نجد في كل قصة تقريباً إشارة إلى هذا الموضوع ونجد تكراراً لحوارات تدور بين الأمير والفقير والسيدة والخادمة والملك الذي يجد عوناً في فقير حكيم يدله على طريق الخير والعدالة والمساواة،

Twitter: @ketab_n

فيكافئه الملك ويزوجه من ابنته أو يجعله وزيراً أو يكتشف أنه ابنه المفقود الذي تخلصت منه زوجته الثانية أو زوجاته. وهكذا تدور الأحداث لتؤكد أن الحكاية الشعبية الخيالية مرتبطة إلى حد كبير باللا وعي الجمعي وبالواقع الذي يهرب منه الناس إلى مخيلتهم ليخلقوا عالماً جميلاً خالياً من الشر والاستغلال، عالم من المثالية المستحيلة لكنها رغم ذلك تظلّ تشكل جوهر الفكر المثالي السائد في أديان شعوب شبه القارة الهندية وثقافاتهم.

شاكر حسن راضي

Twitter: @ketab_n

تمهيد

من أقصى غرب العالم الهندو - أوروبي نذهب هذا العام إلى أقصى الشرق[1]. ومن مروج جيلدوم الخضراء ورذاذ مطرها الخفيف، نسعى إلى الوصول إلى الشمس الحارقة والأرض الجرداء في بلاد الهندوس.

وفي أوروبا وأرض الشمال، مات الإيمان بالجنيات والأقزام الخرافيين والغيلان والوحوش الكاسرة، أما في بلاد الهند فما زال هذا المعتقد يزدهر بكل قوة.

تختلف الشخصيات والتربة الوطنية إلا أن الحكايات الأسطورية تتشابه من حيث الحبكة والأحداث، إن لم تكن في طريقة المعالجة. ولقد عرف الغرب الجزء الأكبر من الحكايات الموجودة في هذا الكتاب بشكل أو بآخر، إلا أن المشكلة تبرز بشأن طريقة تفسير وجودها المتزامن في أقصى الغرب والشرق.

Twitter: @ketab_n

(1) إشارة إلى أن مجموعة الحكايات هذه كانت وقتذاك جزءاً من سلسلة (م).

وكما أعلن بينفي[1] في ألمانيا، وإم. كوسكين[2] في فرنسا، والسيد كلوستون[3] في إنجلترا، من أن الهند هي منبع الحكايات الخيالية وأن المشاركين في الحروب الصليبية والبعثات المنغولية والغجر واليهود والتجار والرحالة قد نقلوا إلى أوروبا حكاياتها الخيالية من هناك.

وما زالت القضية معروضة للنقاش ولا يمكن للمرء التعامل معها إلا بصفة مؤيد أو معارض. لكنني سأحاول، ضمن حدود معينة، تقديم صورة موجزة عن الهند. فبالقدر الذي يمتلك أطفال أوروبا قصصهم الخيالية المشتركة، فإن أكثر من ثلث هذه الحكايات مستوحى من الهند. وعلى وجه الخصوص، يمكن تعقب آثار أغلبية الحكايات الفكاهية أو الحكايات الكوميدية والأغاني المقفاة ومن دون الكثير من الصعوبات إلى شبه القارة الهندية.

(1) ثيودور بينفي (1809–1891): عالم لغة ألماني اهتم خاصة باللغة السنسكريتية (م).

(2) إيمانويل كوسكين (1891 – 1919): عالم فلكلور فرنسي، صاحب كتاب «حكايات اللورين الشعبية» الذي ناقش في مقدمته أن الحكايات الأوروبية مستقاة من أصول هندية (م).

(3) وليم ألكسندر كلوستون (1843–1896): عالم فلكلور إنجليزي اهتم بدراسة الفلكلور الشرقي خاصة وبين أعماله ترجمة للشعر العربي الكلاسيكي (م).

Twitter: @ketab_n

وبالتأكيد هناك فيض من الأدلة على أن عدداً لا بأس به من الحكايات الفكاهية والخرافية قد نقلت من الهند في وقت مبكر بوسائل أدبية خلال فترة الحروب الصليبية. وقد لقيت مجموعات معروفة في أوروبا بعناوين مثل «حكايات بيدبا»[1] و«الحكماء السبعة»[2]، و«جيستا رومانورم»[3]، و«بارلام وجوزاف»[4]، إقبالاً شعبياً واسعاً خلال القرون الوسطى، وانتقلت محتوياتها من يد لأخرى لتصل إلى أمثال الوعاظ من الرهبان، ومنها إلى الروايات القصيرة في إيطاليا، ومنها، بعد ذلك بفترة قصيرة، إلى المسرحيات في العصر الإليزابيثي وربما يمكن تعقب أثر هذا المصدر في زهاء عشر الأحداث الرئيسية في الحكايات الشعبية الأوروبية.

وهناك العديد من المؤشرات إلى وجود تواصل أدبي مبكر بين أوروبا والهند، وخاصة في مجال الحكاية الشعبية والخرافية أو قصص الحيوان الفكاهية.

---

(1) هو نفسه «كليلة ودمنة» الذي يعرف أيضاً باسم «الفصول الخمسة» (م).

(2) أو «ساجات روما السبع» الذي يعود إما إلى أصول سنسكريتية أو فارسية أو عبرية (م).

(3) كتاب نوادر حكايات أخلاقية وضع على الأرجح باللاتينية في القرن الثالث عشر ويعتقد أن واضعه راهب (م).

(4) الاسم الذي أعطي لعدد من الحكايات بعدد من اللغات تدور حول القديسين الهنديين بارلام وجوزاف، مؤلف الكتاب مجهول وهو يعود إلى منتصف القرن الثالث عشر (م).

Twitter: @ketab_n

وفي مناقشة معمّقة في «تاريخ حكايات إيسوب»، وردت في مقدمتي التي قدمت بها لطبعتي من كتاب كاكستون الموسوم «حكايات إيسوب الخرافية» (لندن، 1889)، توصلت إلى استنتاج مفاده أن عدداً لا بأس به من الحكايات الخرافية التي تمر باسم العبد السامياني «إيسوب»، مأخوذ من المصدر نفسه على الأرجح إذ استغلت الحكايات نفسها في قصص «الجاتاكا» أو قصص ولادات البوذا، وتحتوي هذه القصص على عدد كبير من أقدم تشكيلة من الحكايات الشعبية في العالم، أي ما يمكن وصفه (بالجريم الهندية) التي جمعها الأخوان الألمانيان جريم، وهذه الحكايات إلى أكثر من ألفي عام قبل أن يبدأ الأخوان جريم بجمعها، والخروج بمثل تلك النتائج السارة. ولهذا السبب أضفت عدداً لا بأس به من تلك الحكايات في كتابي هذا، وسيكون أمراً مفاجئاً لي لو أن هذه الحكايات التي أثارت ضحك البوذيين الورعين ودهشتهم على امتداد الألفي سنة الماضية أخفقت في إحداث الأثر نفسه عند الأطفال الإنجليز. لقد كانت قصص «الجاتاكا» ناجحة في نسختها الإنجليزية، على يد مترجمين نقلوها بقوة ودقة، وأشعر بالفرح من أنني أستطيع أن أنشر هنا ترجمة لاثنين من حكايات «الجاتاكا» ترجمهما

Twitter: @ketab_n

إلى الإنجليزية السيد د. هـ. د.راوز، من كلية كرايست، كامبردج، وفي إحدى هاتين القصتين اقتفيت أثر مصدر حبكة «طفل القار» في حكاية «العم ريموس».

ورغم أن الحكايات الخرافية الهندية هي الأقدم من حيث وجودها، إلا أنها تعد الأحدث من منظور آخر. فقبل خمس وعشرين سنة فقط بدأت الآنسة فرير بإعداد المجموعة المعاصرة للحكايات الشعبية الهندية في كتابها الساحر «أيام ديكان العجوز»(لندن، جون موراي، 1868، الطبعة الرابعة، 1889). وسارت على أثرها الآنسة ستوكس والسيدة ستيل، والرائد تمبل، والسيد ناولز والسيد كامبل، في حكايات باندیت ناتيسا ساستري، بالإضافة إلى آخرين ممن نشروا الحكايات الشعبية في المجلات الدورية كما في دورية الآثار الأدبية الهندية ومجلة المستشرق. لقد تم استكشاف المخزون القصصي الهندي خلال الربع الأخير من القرن، رغم أن التنوع الهائل للبلاد يوفر مجالاً لأي عدد إضافي من الباحثين والمجاميع.

ورغم المسافات التي قطعتها المواضيع التي وردت في المجاميع القصصية، فقد وجد أن عدداً كبيراً من الأحداث الأكثر شيوعاً في الحكايات الشعبية الأوروبية ترجع في أصولها إلى الهند.

Twitter: @ketab_n

وسواء جلبت هذه القصص أو ولدت هناك، لا نملك بالكاد أي معيار لإصدار الحكم، ولكن طالما أن بعضها لا يزال شائعاً بين الناس في الهند ويمكن تعقب آثاره لأكثر من ألف سنة، فإن الأرجحية تميل إلى أنها من أصول هندية.

ومن كل هذه المصادر ومن حكايات الجاتاكا، وحكايات بيدبا، ومن أحدث المجموعات، اخترت تلك القصص التي تلقي الضوء على أصل الخرافة والحكايات الشعبية وفي الوقت نفسه، اخترت تلك القصص التي يحتمل أن تكون الأكثر جاذبية للأطفال الناطقين بالإنجليزية، إلا إنني لم أضمّن المجموعة الكثير من القصص التي تنحو منحى مجموعة جريم خشية أن أكرر محتويات الجزأين السابقين من هذه السلسلة، مما أضعف إلى حد ما تمثيل الهند في هذا الكتاب. وقد قيّدت الحاجة إلى تلبية متطلبات الفتيان والفتيات خياراتي من الكتاب الشهير «محيط من أنهار القصص»، أو «كاثا- ساريت ساجارا»، لسوماديفا. أما القصص الموجودة بلغة بالي وباللغة السنسكريتية فقد أخذتها من الترجمات، ومعظمها من ترجمة بينفي إلى الألمانية أو الترجمة الرصينة للبروفسور رايس – ديفيدز الذي يتوجب عليّ شكره للسماح لي باستخدام نسخته من حكايات الجاتاكا.

Twitter: @ketab_n

ولقد مكّنت من أن أجعل هذا الكتاب مجموعة نموذجية للحكايات الشعبية الهندية بفضل مجموعة من الجامعين الأصلاء أو ناشريهم. والشكر موضول للآنسة فرير التي أعطتني استثناء خاص، ومنحتني حق تضمين قصة «بنشكين» الجميلة، وتلك الأسطورة الطريفة «كيف خرجت الشمس والقمر والريح إلى العشاء»، وكانت الآنسة ستوكس كريمة جداً معي في منحي حق استعمال النماذج المميزة من كتابها «حكايات شعبية هندية»، وأدين للرائد تمبل بامتياز الاختيار من مجموعته المثيرة للاعجاب «قصص اليقظين» وإلى السادة كيجان بول وترينتش وشركاه الذين سمحوا لي باستخدام مجموعة السيد ناولز الموسومة «حكايات شعبية من كشمير» في مكتبتهم الشرقية وإلى السيد و . هـ . الين الذي سمح لي بالاختيار من مجموعة السيدة كنجزكوت «حكايات الشمس»، والسيد م. ل. ديمس الذي مكنني من أن أضيف إلى مخزون القصة الهندية المنشورة بالسماح لي باستخدام واحدة من قصص مجموعته «حكايات من بلوشستان».

ولابد لي من أن أهنئ نفسي على تعاون صديقي السيد جي. دي . باتن[1] الذي أعطى شكلاً جميلاً وممتعاً لإبداعات المخيلة

(1) يتحدث المؤلف هنا عن نسخة تضم رسومات مصورة من هذا الكتاب (م).

Twitter: @ketab_n

الشعبية الهندية فلم يكن الأمر بسيطاً لكي يتم تجسيده كما فعل باتن في تجسيد روعة وروح الدعابة والمرح في الثقافتين السلتية والهندية. وهذا دليل إضافي على أن الحكايات الشعبية هي شيء أكثر من أن تكون سلتية أو هندية بل هي حكايات إنسانية.

جوزيف جاكوبس

Twitter: @ketab_n

درسٌ للملوك

في قديم الزمان، وعندما كان البراهماداتا[1] يحكم في بنارس[2]، عاد البوذا[3] المأمول إلى الحياة ولداً ووريثاً له. وعندما حان يوم اختيار اسم له، أطلقوا عليه اسم الأمير براهماداتا.

كبر الأمير، وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره، ذهب إلى تكسلا[4] وأتقن كل الفنون. وبعد موت أبيه، تولى عرش المملكة وحكم الناس بالعدل والمساواة. فكان يصدر الأحكام من دون انحياز أو كراهية أو جهل أو خوف. وبما أنه كان يحكم بالعدل، فقد طبق وزراؤه القانون بعدالة.

ونتيجة لمراعاة العدالة في إصدار الأحكام على القضايا، لم يكن هناك من يتقدم بقضايا كاذبة. ومع توقف هذه الحالات، توقفت جلبة التقاضي في بلاط الملك.

(1) أحد ملوك الهند القدماء، حاكم مدينة كامبيلا الهندية (م).
(2) مدينة تقع في ولاية أوتار براديس في الهند (م).
(3) بحسب مبدأ التناسخ، أحد المبادئ الأساسية في البوذية (م).
(4) في الهند القديمة، في القرن الرابع والخامس الميلادي كانت هذه المدينة الواقعة في إقليم بنجاب في باكستان مركزاً مهماً للتعاليم البوذية (م).

Twitter: @ketab_n

ورغم وجود القضاة طوال اليوم في المحكمة، فقد كانوا يغادرون من دون أن يتقدم أحد بالتماس للعدالة.

ونتيجة لذلك تقرر إغلاق قصر العدل.

فكر البوذا المأمول: «لا يمكن أن يكون حكمي بالحق هو الذي جعل الناس لا يتقدمون إلى المحكمة طلباً للعدل. توقفت الضوضاء، وكان لابد من إغلاق قصر العدل. ولذلك يجب عليّ الآن أن أدرس أخطائي، وإذا ما وجدت أي خطأ في نفسي، فسأتخلص منه، ولا أمارس سوى الفضيلة».

ومن ذلك الحين فصاعداً، راح يبحث عن شخص يحدثه عن أخطائه، ولكنه لم يجد ممن كانوا من حوله من يحدثه عن أي خطأ، ولم يسمع سوى الإطراء.

ثم فكر: «هـؤلاء الرجال لا يتحدثون إلا عن الأشياء الجيدة لأنهم يخافونني، ولا يأتون على ذكر سيئاتي». ثم راح يبحث بين الناس الذين يعيشون خارج القصر وحين لم يجد من يكشف له عن عيب فيه، راح يبحث بين أولئك الذين يعيشون خارج المدينة، في الضواحي، عند بوابات المدينة الأربع.

Twitter: @ketab_n

وهناك أيضاً لم يجد من يؤشّر له على خطأ فيه، ولم يسمع سوى الإطراء، فقرر البحث في الأرياف.

سلّم شؤون المملكة لوزرائه، وركب عربته، ولم يأخذ معه سوى حوذيّه، وغادر المدينة متنكراً. راح يبحث في الأرياف وصولاً إلى أقصى الحدود، لم يعثر على من يذكر أخطاءه، ولم يسمع سوى فضائله، وهكذا قفل عائداً من أقصى الحدود، سالكاً الطريق البري الذي يوصله إلى المدينة.

في ذات الوقت كان، ملك «كوسالا»[1]، الذي يعرف باسم ماليكا يحكم بلاده بالحق وعندما خرج يبحث عن خطأ في نفسه، لم يجد من يخطئه في القصر، ولم يسمع سوى كلمات الإطراء بفضائله!

فخرج إلى الأرياف، حتى وصل إلى البقعة نفسها، وهكذا التقى الاثنان وجهاً لوجه على طريق منخفض شديد الانحدار، ولم يكن هناك مجال لمرور عربة من الطريق!

قال سائق عربة ماليكا لسائق عربة بنارس: «أبعد عربتك عن الطريق».

(1) مملكة هندية قديمة كانت تشكل في القرن السادس قبل الميلاد واحدة من ممالك الهند الست عشرة القوية (م).

Twitter: @ketab_n

فأجابه السائق الثاني: «أبعد عربتك من الطريق، يا سائق العربة! ففي هذه المركبة يجلس سيد مملكة بنارس، الملك العظيم براهما داتا».

بيد أن الآخر أجاب: «في هذه العربة، يجلس سيد مملكة كوسالا، الملك العظيم ماليكا. أبعد عربتك عن الطريق، وأفسح المجال لعربة ملكنا».

راح سائق عربة ملك بنارس يفكر في نفسه: «يقولون كذلك إنه ملك هو الآخر! ما العمل الآن؟ وبعد تأمل، قال لنفسه: «لدي حل! سأجد كم عمره، وعندها سأجعل عربة الأصغر عمراً هي التي تبعد عن الطريق، وتفسح المجال لمن هو أكبر سناً».

وعندما توصل إلى ذلك، سأل سائق العربة الأخرى عن عمر ملك كوسالا، ولكنه وجد أن عمر الملكين كان متساوياً. ثم تساءل عن مساحة مملكته وعن جيشه وثروته وشهرته وعن البلد الذي عاش فيه وعن طبقته وقبيلته وأسرته.

ووجد أن كليهما كان سيداً لمملكة تمتد على مساحة ثلاثمئة فرسخ مربع، أما عن الجيش والثروة والشهرة والبلدان التي عاشا

Twitter: @ketab_n

فيها، وطبقتهما وقبيلتهما وأسرتيهما فوجد أن ثمة تكافئاً تاماً بين الرجلين!

ثم فكر: «سأفتح الطريق لأكثرهما اتباعاً للحق»، وسأله: «أي نوع من العدالة يطبّق ملكك هذا؟».

أنشد سائق عربة ملك كوسالا وهو يدافع عن الشر في ملكه معتقداً أنه خير، المقطع التالي:

«يغلب القوي بالقوة

والمعتدل بالاعتدال،

ويغلب الطيب بالطيب

والشر بالشر،

هكذا طبع هذا الملك،

ابتعد عن الطريق أيها الحوذي».

لكن سائق عربة ملك بنارس سأله: «حسناً، هل ذكرت كل فضائل ملكك؟».

«أجل»، قال الآخر.

Twitter: @ketab_n

وقال سائق ملك بنارس: «هذه رذائل التي ذكرتها الآن».

«إذا شئت، ولكن أرجوك، قل لي أي فضيلة يتمتع بها ملكك؟».

ثم طلب منه سائق عربة بنارس أن يصغي وأنشد قائلاً:

«يغلب الغضب بالهدوء

والشر بالخير،

والبخل بالكرم

ويغلب الكذاب بالصدق

هذا هو طبع هذا الملك.

ابتعد عن الطريق، أيها الحوذي».

وبعد أن سمع كلامه، نزل ماليكا وحوذيه عن عربتهما، وفكا رباط الخيول، وأبعدا عربتهما، وأفسحا الطريق لملك بنارس!

Twitter: @ketab_n

الكبرياء يسبق السقوط

عاش في قرية عشرة من تجار الملابس، اعتادوا تمضية أوقاتهم معاً، وفي إحدى المرات سافروا مسافة بعيدة، وفي أثناء عودتهم وهم يحملون مبالغ كبيرة من المال حصلوا عليها من بيع بضائعهم، مروا في الصباح الباكر بغابة كثيفة الشجر على مقربة من قريتهم. وكان يسكن الغابة ثلاثة لصوص من ذوي السمعة السيئة، لم يسمع التجار بوجودهم من قبل، وفي أثناء وجودهم وسط الغابة، وإذا باللصوص يقفون أمامهم، شاهرين السيوف والهراوات، وطلبوا من التجار أن يلقوا بكل ما كانوا يحملون، لم يكن أحد من التجار يحمل سلاحاً، وهكذا، ورغم كثرة عددهم، اضطروا للاستسلام للصوص، الذين أخذوا منهم كل شيء، حتى ملابسهم كانوا يرتدونها، وأعطوا لكل واحد منهم مئزراً صغيراً عرضه شبر وطوله ذراع.

Twitter: @ketab_n

هيمنت فكرة التغلب على عشرة رجال ونهب كل ممتلكاتهم على تفكير اللصوص. جلسوا مثل ملوك أمام الرجال المنهوبين، وأمروهم بأن يرقصوا أمامهم قبل العودة إلى منازلهم.

أسف التجار لمصيرهم. لقد فقدوا كل شيء، باستثناء مآزرهم، ومع ذلك لم يقتنع اللصوص، بل أمروهم بأن يرقصوا.

ومن بين التجار العشرة كان هناك تاجر ذكي جداً. تأمل في المصيبة التي حلّت به وبأصدقائه، وبالرقص الذي كان عليهم تأديته، والطريقة المتفاخرة التي جلس بها اللصوص على العشب، وفي الوقت نفسه لاحظ أن اللصوص وضعوا أسلحتهم أرضاً، بعد أن اطمأنوا أنهم أخضعوا التجار لإرادتهم إخضاعاً تاماً، لاسيّما وأن التجار بدءوا بالرقص.

أخذ الرجل المبادرة في الرقص، ولأن مثل هذه الحالات تتطلب أن تنشد أغنية دائماً من قبل رئيس فريق الراقصين ويرد عليها باللازمة بقية الفريق بالإيقاع بالأيدي والأرجل، بدأ التاجر يغني:

«نحن إنتي رجال

وهم إريث رجال

Twitter: @ketab_n

لو أحاط كل إبريث

حاضر إينو واحد

فسيبقى فينا إينو طليقاً

تي تا تم تم تادينجانا».

لم يكن اللصوص متعلمين وظنوا أن قائد الفرقة يغني أغنية عادية، وهكذا كان الأمر بمعنى ما، بدأ قائد المجموعة من مسافة، وأنشد الأغنية مرتين قبل أن يبدأ هو ورفاقه بالاقتراب من اللصوص. فقد فهم زملاؤه المقصود لأنهم كانوا قد تدربوا على ذلك في التجارة.

فعندما يناقش تاجران سعر سلعة ما بحضور مشترٍ، فإنهما يستخدمان لغة مليئة بالألغاز. فيقول أحدهم: «ما سعر هذه القطعة من القماش؟».

فيرد الآخر: «إنتي روبية»، أي عشر روبيات، وبذلك ليس هناك احتمال أن يعرف المشتري ما المقصود ما لم يكن على دراية بلغة التجارة.

Twitter: @ketab_n

وبموجب قواعد هذه اللغة السرية فإن إيريث تعني «ثلاثة» و«إنتي» تعني «عشرة»، وإينو تعني «واحد». ولذلك كان رئيس الفريق يقصد من وراء أغنيته التلميح لزملائه التجار بأنهم عشرة وأن اللصوص ثلاثة فقط، فلو قفز ثلاثة منهم على كل واحد من اللصوص، فإن تسعة سيتمكنون من السيطرة على اللصوص الثلاثة، فيما يقوم التاجر العاشر بربط أيدي وأرجل اللصوص.

كان اللصوص الثلاثة، منتشين بانتصارهم، ونتيجة عدم فهمهم لمغزى الأغنية ونوايا الراقصين جلسوا بخيلاء وهم يمضغون التنبول والتبغ. في الوقت نفسه كان المغني ينشد الأغنية للمرة الثالثة.

وقد نطق الرجال باللازمة (تا تاي تم)، وقبل أن ينطقوا بالمقطع الرابع (تادينجانا)، انقسم التجار إلى مجموعات تتألف كل واحدة منها من ثلاثة أشخاص، وقفز كل فريق منهم على أحد اللصوص. أما قائد الفريق فقد قطع قطعة قماش كبيرة إلى أشرطة ضيقة بطول ستة أذرع وربط أيدي وأقدام اللصوص الذين استسلموا وراحوا يتدحرجون على الأرض كأكياس الأرز.

Twitter: @ketab_n

استعاد التجار العشرة كل ممتلكاتهم، وباتوا مسلحين بسيوف اللصوص وهراواتهم، وعندما وصلوا إلى قريتهم، كانوا في كثير من الأوقات يسلون أصدقاءهم وأقاربهم بسرد مغامرتهم عليهم.

Twitter: @ketab_n

الراجا راسالو

عاش في قديم الزمان راجا عظيم اشتهر باسم «سالابان» وكان متزوجاً من ملكة اسمها «لونا» التي رغم أدعيتها وبكائها في العديد من المناسك، لم ترزق بطفل يسرّ ناظريها. وبعد زمن طويل، تلقت وعداً بأنها ستنجب طفلاً.

عادت الملكة لونا إلى القصر، وعندما اقترب موعد ولادة الطفل الموعود، سألت ثلاثة من الدراويش الذين كانوا يتسولون على بوابة قصرها، عن المصير الذي ينتظر ولدها، فأجابها أصغرهم عمراً: «آه أيتها الملكة، سيكون الطفل ذكراً، وسيكون رجلاً عظيماً، ولكن، لن تكحلي عينيك برؤيته لمدة اثني عشر عاماً، لأنك إن شاهدته أو شاهده أبوه قبل مرور هذه الفترة ستموتين حتماً! وهذا ما عليك أن تفعليه: حالما يولد الطفل يجب أن ترسليه بعيداً وتخفيه في زنزانة تحت الأرض، ولا تدعيه ير ضوء النهار طوال اثنتي عشرة سنة.

Twitter: @ketab_n

وبعد انقضاء هذه المدة، يستطيع أن يخرج وأن يستحم في النهر، ويرتدي ملابس جديدة، ويزورك. وسيكون اسمه الراجا راسالو، وسيكون معروفاً للقاصي والداني».

وعندما وُلد أمير صغير وجميل في الوقت المنتظر، أخفاه أبواه في قصر تحت الأرض، وأرسلوا معه مربيات وخادمات وكل شيء قد يشتهيه ابن ملك، وأرسلوا معه مهراً صغيراً، ولد في ذات اليوم، وسيفاً ورمحاً ودرعاً، ليكون مستعداً لليوم الذي يخرج فيه راجا راسالو لمواجهة العالم.

هناك عاش طفلهما، يلعب مع مهره، ويتحدث إلى ببغائه، فيما كانت المربيات يعلمنه كل ما يحتاج ابن ملك إلى معرفته.

عاش راسالو الصغير بعيداً عن ضوء النهار، لأحد عشر عاماً طويلة، وهو يكبر ويصبح أطول وأطول، ولكنه بقي راضياً باللعب مع مهرته، والتحدث إلى ببغائه، ولكن، حين بدأ العام الثاني عشر، اشتعل قلب الفتى بالرغبة في التغيير، وأحب الاستماع إلى أصوات الحياة التي كانت تصله من العالم الخارجي وهو في قصره – السجن.

Twitter: @ketab_n

قال الأمير في نفسه: «يجب أن أخرج وأعرف ما هي هذه الأصوات»، وعندما أخبرته المربيات أن لا يجوز له الخروج لمدة سنة أخرى، قهقه ضاحكاً، وقال: «كلا، لن أبقى هنا بعد اليوم مهما كان الثمن».

ثم أسرج جواده العربي «بهنر»، ووضع عليه درعه اللماعة، وانطلق على ظهر الحصان ليلاقي العالم، متذكراً ما أخبرته به المربيات في كثير من الأحيان، عندما وصل إلى النهر، نزل عن ظهر الحصان، وانزلق في ماء النهر، واغتسل وغيّر ملابسه.

وبعد ان ارتدى ملابس نظيفة، وبان وجهه الجميل، واستجمع شجاعته، شق طريقه حتى وصل إلى المدينة التي يحكمها أبوه، وهناك جلس ليستريح لوهلة قرب بئر، كانت النسوة يأخذن منه الماء في أباريق مصنوعة من الفخار. وحين مررن من أمامه، وابارق الماء منتصبة فوق رؤوسهن، رمى الأمير المرح أحجاراً على أباريقهن الفخارية فكسرها. ذهبن وقد تبللن بالماء، يبكين وينتحبن الى القصر، شاكيات الى الملك من قيام أمير شاب وقوي يرتدي درعاً لامعة، وعلى رسغه يقف ببغاء وبجانبه جواد رشيق، بكسر أباريقهن.

Twitter: @ketab_n

وما إن سمع الملك سالابان هذا الكلام حتى أدرك في الحال أن الأمير راسالو خرج قبل موعده، وحين تذكر كلام النساك من أنه سيموت لو نظر الى وجه ولده قبل مرور اثني عشر عاماً، لم يجرؤ على إصدار امر للحراس بإلقاء القبض على المعتدي واحضاره لكي يحاكم. وطلب من النسوة ان يهدأن وأعطاهن أباريق من الحديد والنحاس من خزينته.

وعندما رأى الأمير راسالو النسوة عائدات الى البئر بأباريق من الحديد والنحاس، ضحك في سرّه، وسحب نشابه القوي ذي السهام المدببة الحادة وثقب الأواني المعدنية وكأنها كانت مصنوعة من الطين.

ورغم ذلك لم يرسل الملك في طلب إحضاره، ولذلك ركب فرسه وانطلق بكبرياء الشباب وقوته متجهاً صوب القصر. ودخل الى قاعة الاستقبال، حيث جلس أبوه مرتعداً، وحياه بكل احترام، لكن الملك سالابان، خوفاً على حياته، أدار له ظهره بسرعة ولم يرد بكلمة عليه.

ثم نادى عليه الأمير بازدراء: «أيها الملك، جئت لأحييك وليس لإيذائك ما الذي فعلته حتى تشيح بوجهك عني؟ فأنا لا تغريني سلطة الصولجان والإمبراطورية وأسعى إلى نيل ما هو أرفع قيمة منهما!».

Twitter: @ketab_n

ثم مضى خارجاً، تملؤه المرارة والغضب، ولكن، حين مر من تحت نوافذ القصر، سمع أمه تبكي، ورق قلبه لصوت بكائها، فتلاشى غضبه، وانتابه شعور عميق بالوحدة، بعد أن رفضه أبواه، فراح يصرخ في شجن حزين: «أيها القلب المتوج بالحزن، ألا تملك شيئاً سوى الدموع لولدك؟ أولست أمي، امنحيني النصح في حياتي التي بدأتها تواً!».

وردت عليه الملكة لونا بدموعها: «أجل أم أنا، رغم بكائي أحفظ هذه الكلمة، اذهب، واحكم يا ملك كل الرجال، وليكن قلبك طاهراً طيباً!».

شعر الراجا راسالو بالارتياح، وبدأ بالاستعداد لمواجهة مصيره، فأخذ جواده وببغاءه اللذين رافقاه منذ أن ولد، وكانا نعم الرفقة، وحين رأتهم الملكة وهم يغادرون من نافذة غرفتها، حتى اختفوا ولم يتركوا سوى غيمة من غبار في الأفق، عندها وضعت رأسها بين يديها، وبكت، ثم أنشدت:

«آه يا ولدي الذي لم يكحل بصورته عيني،

دع غيمة رحيلك ترتفع لتخفي أشعة الشمس

Twitter: @ketab_n

وتظلم النهار، فالأم التي يغيب عنها ولدها

ليست إلا تراباً!».

شرع راسالو في رحلته ليلاعب الملك ساركاب لعبة «التشاوبور»[1] وفي أثناء رحلته هبت عاصفة رعدية عنيفة يرافقها برق، ولذلك حاول اللجوء الى ملاذ ولم يجد سوى مقبرة قديمة، وجد فيها جثة بلا رأس مرمية على الأرض. كان المكان موحشاً جداً حتى إن الجثة صارت فيه صديقاً، جلس راسالو إلى جانبها، وقال: «لا أحد هنا، لا قريب ولا بعيد، سوى هذه الجثة الهامدة الباردة المقيتة آه لو وهبها الله الحياة من جديد فسيصبح المكان أقل وحشة».

وفي الحال نهضت الجثة المقطوعة الرأس وجلست إلى جانب الراجا راسالو، فقال لها، من دون أن يبدي أي دهشة:

«تضرب العاصفة بوحشية وعويل،

تتصاعد الغيوم كثيفة في الأفق الغربي

ما الذي يقض مضجعك وكفنك، أيتها الجثة،

(1) لعبة قديمة تشبه الشطرنج يقال أن الأمبراطور أكبر الأول كان يلعبها مستخدماً فتيات من عبيده بدلاً من قطع الشطرنج المعروفة (م).

Twitter: @ketab_n

حتى إنك لا تجدين الراحة؟».

فردت عليه الجثة المقطوعة الرأس:

«في الحياة كنت مثلك،

عمامتي فوق رأسي مثل ملك،

أحسب رأسي عالياً بين الرؤوس،

أمتع نفسي منغمساً في الملذات

وأقاتل أعدائي بكل شجاعة،

أحيا حياتي متأرجحاً،

وها أنذا ميت،

ذنوب بثقل الرصاص،

تقضّ رقادي في قبري!».

هكذا مر الليل مظلماً مخيفاً، قضاه راسالو جالساً في المقبرة يحدّث الجثة المقطوعة الرأس. وحين انبلج الصباح وعندما قال راسالو إنه يجب أن يواصل رحلته، سألته الجثة المقطوعة

Twitter: @ketab_n

الرأس عن وجهته، وعندما رد راسالو: «لألعب التشاوبور مع الملك ساركاب». توسلت إليه الجثة أن يتخلى عن الفكرة وقالت: «أنا شقيق الملك ساركاب وأعرف أساليبه، ففي كل يوم وقبل الإفطار، يقطع رؤوس رجلين أو ثلاثة لمجرد الاستمتاع. وفي أحد الأيام، لم يكن في متناوله أحد، فقطع رأسي، وبالتأكيد سيقطع رأسك بحجة أو بأخرى. ولكن، إذا كنت عازماً على الذهاب ولعب التشاوبور معه فخذ شيئاً من العظام الموجودة في هذه المقبرة، واصنع نردك منها، عندها سيفقد النرد المسحور الذي يلعب به أخي مفعوله، وبخلاف ذلك، سيبقى هو الفائز دائماً».

أخذ راسالو عظاماً من تلك المرمية حوله، وصنعها في شكل نرد ووضعها في جيبه. وبعد أن ودع الجثة المقطوعة الرأس، مضى في طريقه ليلعب لعبة التشاوبور مع الملك.

في أثناء رحلة السعي إلى ملاعبة الملك، وصل راسالو القوي والطيب إلى غابة تحترق، وتصاعد صوت من اللهب يصرخ: «أيها المسافر، أنقذني من النار لوجه الله!».

استدار الأمير نحو الغابة المحترقة، وإذا به جدجد الذي يكلمه، فأخرجه راسالو القوي والطيب القلب من النار وأطلق

Twitter: @ketab_n

سراحه حراً. اقتلع المخلوق الصغير، وبدافع العرفان والامتنان، واحدة من مجساته وأعطاها لمنقذه وقال: «احتفظ بهذه، وإن وجدت نفسك في مأزق، فضعها في النار، وسأحضر إليك على الفور للمساعدة».

ابتسم الأمير وقال: «ما الذي يمكنك أن تقدمه لي؟». ولكنه احتفظ بالمجس ومضى في طريقه.

وعندما وصل إلى مدينة الملك ساركاب، خرجت سبعون فتاة، من بنات الملك، لمقابلته؛ سبعون من الفتيات الجميلات المرحات اللاهيات، تعلو وجوههن الابتسامات والضحكات إلا أن أصغرهن، وقد رأت الأمير الشاب الشهم على ظهر جواده العربي، يسير إلى مصيره المحتوم، امتلأ قلبها شفقة عليه، ونادته:

«أيها الأمير الوسيم، أنت يا من تمتطي صهوة جواد القتال،

عد أدراجك ! عد أدراجك

أو اخفض رمح قتالك،

سيقطع رأسك اليوم!

Twitter: @ketab_n

أتحب الحياة؟ إذن، أيها الغريب، أتوسل اليك عد أدراجك ! عد أدراجك!».

أجاب الأمير بسرعة وهو يبتسم للفتاة منشداً:

«أيتها الفتاة الجميلة، جئت من بلد بعيد فاتحاً عازماً على الحب والحرب!

سيندم الملك ساركاب على قدومي وسأقطع رأسه الى أربعة قطع

بعدها، سأركب جوادي عريساً

وأنت عروسي أيتها الجميلة الصغيرة!».

وحين سمعت الفتاة من الأمير هذه الإجابة البليغة، نظرت في وجهه، وحال اكتشافها مدى وسامته، وشجاعته وقوته، وقعت في حبه، وقررت أن تتبعه مسرورة أينما ذهب في هذا العالم.

لكن الفتيات التسع والستون الأخريات ضحكن بازدراء منها وقد أكلتهن الغيرة، وقلن: «ليس بهذه السرعة، أيها المحارب الشهم! فإذا ما أردت الزواج من أختنا عليك أولاً أن تطيع أوامرنا لأنك ستصبح أخانا الأصغر».

Twitter: @ketab_n

قال راسالو ممازحاً: «يا أخواتي الجميلات، حدّدن لي مهمتي وسأنفذها».

قامت الفتيات التسع والستون بمزج مئة وزن من حبوب الدخن مع مئة وزن من الرمل، وبعد أن أعطينها للأمير، أمرنه بأن يفصل الحبوب عن الرمل.

عندئذ تذكر الجدجد، وبعد أن سحب المجسّ من جيبه، رماه في النار، وعلى الفور سمع صوت جلبة في الهواء وإذا بحشد من الجداجد ينزل عنده، ومن بينها الحشرة التي كان قد أنقذ حياتها.

قال راسالوا: «افصلوا حبات الدخن عن الرمل».

قال الجدجد: «أهذا كل شيء؟ لو كنت أعلم ببساطة المهمة التي ستكلفني بها، ما كنت حشدت هذا العدد الكبير من إخوتي».

بدأ سرب الجدجد بالعمل وخلال ليلة واحدة فصلوا بذور الدخن عن الرمل.

Twitter: @ketab_n

وحين رأت الفتيات التسع والستون الجميلات، بنات الملك، أن راسولا قد نفذ المهمة، كلفنه بمهمة أخرى، وأمرنه بأن يؤرجحهن واحدة تلو الأخرى في أرجوحاتهن حتى ينال منهن التعب.

ضحك الأمير عندها وقال: «هناك سبعون منكن إذا ما حسبنا عروسنا الصغيرة ولن أقضي حياتي في أرجحة الفتيات، لأنني في الوقت الذي أنتهي فيه من أرجحتكن جميعاً، سيأتي دور الأولى مجدداً، كلا! اذا ما أردتن الأرجحة، ادخلن جميعكن، معاً في أرجوحة واحدة، ثم أرى ما الذي يمكنني فعله».

تسلقت الأخوات السبعون أرجوحة واحدة، وقام الأمير راسالو، وهو واقف مرتدياً درعه البراقة، بشد الحبال الى قوسه القوية وسحبها إلى الحد الأقصى. ثم أطلقها، وكالسهم، انطلقت الأرجوحة في الهواء حاملة الفتيات الجميلات، يملؤهن الفرح والحبور، وهن يضحكن ويبتسمن، وعند عودة الأرجوحة إلى الوراء، سحب راسالو سيفه الحاد وقطع الحبال. فسقطت الفتيات الجميلات على الأرض على رؤوسهن.

Twitter: @ketab_n

أصيب بعضهن بالكدمات وبعضهن الآخر بالكسور، لكن الوحيدة التي نجت من الأذى كانت الفتاة التي أحبت راسالو لأنها كانت آخر من يسقط، فوق الأخريات.

بعد ذلك، خطا الأمير خمس عشرة خطوة، حتى وصل إلى الطبول السبعين، التي كان يتوجب على كل من يأتي لملاعبة الملك لعبة التشاوبور، أن يضرب عليها بالدور، وضرب الطبول بقوة حتى خرقها جميعاً. ثم وصل إلى الأجراس السبعين، المصفوفة كلها في صف واحد، وطرقها بقوة حتى تكسرت إلى قطع.

في هذه اللحظة، ركضت الأميرة الصغرى، التي كانت الوحيدة التي تستطيع الركض، نحو أبيها الملك وقد انتابها الهلع، قائلة: «أمير قوي، يا ساركاب، يُحدث الخراب، يركب الجواد، لقد أرجحنا جميعاً ورمى بنا على الرؤوس، وكسر الطبول التي وضعتها وحطم الأجراس بكبرياء، بالتأكيد، سيقتلك، يا أبي، وسيأخذني عروساً له!».

لكن الملك ساركاب قال بازدراء: «أيتها الفتاة السخيفة، أنت تضخّمين أمراً لا يستحق الذكر، أنا على يقين من أن درعه ستقعقع خوفاً من بسالتي وفي اللحظة التي أنتهي بها من تناول طعامي سأتقدم وأقطع رأسه!».

Twitter: @ketab_n

وراء هذه الكلمات الطنانة والشجاعة، كان الملك في الواقع خائفاً جداً، بعد أن سمع بشهرة راسالو، وبعد أن علم أنه كان يقف عند بيت عجوز في المدينة، حتى تحين ساعة اللعب، أرسل ساركاب عبيده إليه حاملين صواني الحلوى والفاكهة، إكراماً للضيف، لكن الطعام كان مسموماً، وعندما قدم العبيد الأطباق للراجا راسالو، نهض بكبرياء، وقال: «اذهبوا وأبلغوا سيدكم أني لا أرغب في صداقته. فأنا عدوه العنيد، ولن آكل من زاده وملحه».

قال ذلك، ورمى بالحلوى لكلب الراجا ساركاب، الذي كان يتبع خطى العبيد، وإذا بالكلب يسقط ميتاً. فغضب راسالو وقال بمرارة: «عودوا إلى ساركاب أيها العبيد! وقولوا له إن راسالو لا يعتبرها شجاعة أن تقتل حتى عدوك غدراً».

حين حلّ المساء، تقدم الأمير راسالو ليلاعب الملك ساركاب لعبة التشاوبور، في أثناء مروره بمجموعة من تنانير الفخارين شاهد قطة تجول بقلق، وسألها عما يؤلمها، بحيث أنها لا تستطيع أن تسكن في مكانها، فأجابت القطة: «قطيطاتي موجودات في إناء فخار لم يشو بالنار في ذلك التنور، ولقد أوقد التنور للتو، وستشوى صغيراتي وهنّ أحياء، ولذلك، تجدني هائجة».

Twitter: @ketab_n

حركت كلماتها قلب الأمير راسالو، وبعد أن توجّه إلى الخزاف، طلب منه أن يبيعه التنور، لكن الخزاف أجاب أنه لا يستطيع الاتفاق على سعر عادل حتى تحترق كل الأواني، لأنه لا يعرف بالضبط العدد الكلي، ولكن وبعد مساومات، وافق الخزاف أخيراً على بيع التنور، وبعد أن فتش راسالو كل القدور، أعاد القطيطات إلى أمهن، التي أعطته إحدى بناتها عرفاناً منها له بالجميل، وقالت «ضعها في جيبك لأنها ستساعدك عندما تواجهك الصعوبات». وضع راسالو القطيطة في جيبه وذهب ليلعب مع الملك.

وقبل أن يجلسا للعب، ثبت الراجا ساركاب رهاناته – على اللعبة الأولى، مملكته، وعلى الثانية ثروة العالم بأكمله، وعلى الثالثة، رأسه. وبالمثل، ثبت الراجا راسالو رهاناته – على اللعبة الأولى سلاحه، وعلى الثانية جواده، وعلى الثالثة رأسه.

بدأ الاثنان باللعب، وكان دور راسالو القيام بالحركة الأولى، وبعد أن نسي تحذير الرجل الميت، رمى النرد الذي أعطاه إياه الراجا ساركاب، حيث وضع الأخير إلى جانبه جرذه الشهير، دول راجا، الذي ركض حول اللوح، وقلب قطع التشاوبور، خلسة، لذلك خسر راسالو الدورة الأولى من اللعب، وسلّم درعه اللّماعة.

Twitter: @ketab_n

بدأت الدورة الثانية من اللعب، ومرة أخرى، قلب الجرذ دول راجا القطع، وتخلى راسالو عن جواده الوفي. عندها وجد جواده العربي صوتاً وصرخ مخاطباً سيده:

«ابن البحر أنا، اشتروني بالكثير من الذهب،

أيها الأمير العزيز، ثق بي كما كنت في الماضي،

سأحملك بعيداً عن هذه الألاعيب

سأطير بك مثل طائر سريع، لآلاف الأميال،!

وإذا ما اقتضت الحاجة بقاؤك،

وقبل أن تلعب الدورة الثانية،

ضع يدك في جيبك، أتوسل إليك!».

بعد أن سمع ذلك، تجهّم الراجا ساركاب، وأمر عبيده، بأن يبعدوا الجواد العربي، لأنه أعطى سيده نصيحة في اللعب، وعندما اقترب العبيد ليأخذوا الجواد الوفي لم يستطع راسالو منع نفسه من البكاء، وهو يستذكر السنين الطويلة التي رافقه خلالها الجواد العربي، لكن الجواد صرخ مرة أخرى:

Twitter: @ketab_n

«لا تبكِ يا أميري، لن آكل طعامي من يد غريبة،

ولن أقاد إلى مربط غريب،

خذ يدك اليمنى وضعها كما قلت لك».

نشّطت هذه الكلمات ذاكرة راسالو، وفي هذه اللحظة، بدأت القطيطة التي كانت في جيبه بالتحرك، وتذكر كل ما ورد في التحذير، وتذكر النرد المصنوع من عظام البشر، تحرك قلبه مرة أخرى، ونادى بشجاعة على الراجا ساركاب: «اترك حصاني وأسلحتي الآن، لدينا ما يكفي من الوقت لتأخذه، بعد أن تفوز برأسي!».

بدأ الخوف يدب في نفس الراجا ساركاب وهو يستشعر ثقة راسالو، وأمر كل النساء في قصره بأن يتقدمن ويرتدين أجمل الثياب ويقفن أمامه راسالو، ليشتتن انتباهه عن اللعب. ولكن الأمير لم ينظرن إليهن على الإطلاق، وبعد أن رمى النرد من جيبه، قال لساركاب «لعبنا بنردك طوال كل الوقت، والآن لنلعب بنردي».

عندها ذهبت القطيطة وجلست عند الشباك الذي اعتاد الجرذ دول راجا الدخول من خلاله، وبدأت اللعبة.

Twitter: @ketab_n

وبعد قليل، نادى ساركاب على جرذه بعد أن لاحظ أن الراجا راسالو بدأ يحقق الفوز، ولكن حين رأى الجرذ دول راجا القطة، شعر بالخوف، ولم يتقدم خطوة. وهكذا، فاز راسالو، واستعاد سلاحه، ثم لعب على حصانه، ونادى ساركاب مرة أخرى على جرذه، لكن دول راجا، كان خائفاً وهو يرى القطيطة تواصل مراقبته، ففاز راسالو بالرهان الثاني، واسترجع الجواد العربي، فاستجمع ساركاب كل مهاراته ليواجه الدورة الثالثة والأخيرة من اللعبة، قائلاً:

«أيتها القطع المجبولة من تراب القبور، كوني إلى جانبي هذا اليوم!

فهذا الذي ألاعبه رجل بحق،

وهذه ليست مخاطرة تافهة، بل مسألة حياة وموت،

افعلي كما يفعل ساركاب، لأجل ساركاب».

لكن راسالو رد عليه بالقول:

«أيتها القطع المجبولة من تراب القبور،

كوني إلى جانبي اليوم،

Twitter: @ketab_n

بالتأكيد هذا الذي ألاعبه رجل بحق،

فهذه ليست مخاطرة تافهة، بل مسألة حياة وموت،

افعلي كما تأمر السماء، ولأجل الله!».

وبدأ اللعب فيما وقفت النسوة في دائرة، وواصلت القطيطة مراقبة الجرذ دول راجا عند الشباك، وخسر ساركاب، مملكته أولاً، ثم ثروة العالم، وأخيراً رأسه. وفي تلك اللحظة دخل خادم ليعلن ولادة ابنة للراجا ساركاب وبعد أن حطمته أقداره المنحوسة قال: «اقتلها في الحال، فقد ولدت في لحظة شريرة ولم تجلب لي سوى سوء الطالع». لكن راسالو نهض وهو يرتدي درعه البراقة، ولكونه رجلاً قوياً، وطيب القلب، قال: «كلا، لا تفعل، أيها الملك، لم ترتكب إثماً، زوّجني من هذه الطفلة عندما تكبر، وإذا ما أقسمت بكل مقدساتك، بأن لا تعود إلى اللعب مرة أخرى لتقطع رأس إنسان آخر، فسأعفو عنك الآن!».

أقسم ساركاب قسماً مهيباً ألا يعود إلى اللعب على رأس إنسان آخر، وبعد ذلك، تناول غصن شجرة مانجو نضرة، والوليدة الجديدة، وبعد أن وضعها في طبق ذهبي، قدمهما إلى راسالو.

Twitter: @ketab_n

وبعد أن غادر القصر، حاملاً معه الوليدة وغصن المانجو، التقى بمجموعة من السجناء، الذين نادوا عليه:

«أنت صقر ملكي، أيها الملك،

وما البقية إلا طيور، امنحنا، مرادنا، فك عنا القيود،

وعش مباركاً إلى الأبد».

سمع لهم راسالو وطلب من الملك ساركاب أن يطلق سراحهم.

ثم توجّه إلى تلال «مورتي»، ووضع الطفلة الحديثة الولادة، «كوكيلان»، في قصر تحت الأرض، وزرع غصن شجرة المانجو عند الباب وقال:

«ستزهر شجرة المانجو خلال اثنتي عشرة سنة،

عندها سأعود وأتزوج كوكيلان».

وبعد اثنتي عشرة سنة، بدأت شجرة المانجو تزهر، وتزوج الأمير راسالو من الأميرة «كوكيلان»، التي كسبها عندما لعب التشاوبور مع الملك ساركاب.

Twitter: @ketab_n

حمار في جلد أسد

في الوقت الذي كان يحكم فيه البراهماداتا في بنارس، ولد البوذا المأمول في عائلة من الفلاحين، وعندما كبر، صار يكسب رزقه من فلاحة الأرض.

وفي ذلك الوقت كان هناك بائع جوّال يتاجر ببضائع يحملها على ظهر حمار، وأينما حطت رحاله كان ينزل البضاعة عن ظهر الحمار، ثم يلبس الحمار جلد أسد، ويتركه سائباً في حقول الأرز والشعير. وعندما يراه حراس الحقول، لا يجرؤ أحد منهم على الاقتراب منه، معتقدين أنه أسد.

وفي أحد الأيام توقف البائع الجوال في قرية، وبينما ينتظر الانتهاء من إعداد إفطاره، ألبس الحمار جلد الأسد، وأطلقه في حقل للشعير. فلم يجرؤ الحراس في الحقل على الاقتراب منه، ولكنهم ذهبوا إلى بيوتهم، وأذاعوا الخبر. عندها خرج كل أهل القرية شاهرين أسلحتهم، نافخين في

Twitter: @ketab_n

الأبواق وقارعين على الطبول، اقتربوا من الحقل وصرخوا، وبسبب خوفه من الموت، أطلق الحمار صرخة، فكانت نهقة حمار!

وعندما علم البوذا الموعود بأنه حمار وليس أسداً، أنشد المقطع التالي:

«هذا الذي يزأر ليس أسداً

ولا نمراً ولا فهداً،

هذا الذي يزأر

ليس إلا حماراً في جلد أسد».

وعندما علم القرويون أن الكائن لم يكن سوى حمار، انهالوا عليه بالضرب حتى تكسرت عظامه، ونزعوا عنه جلد الأسد، وابتعدوا. بعدها وصل البائع الجوال، وبعد أن رأى ما حل بالحمار من مصاب أليم، أنشد المقطع التالي:

«تحمّل الحمار طويلاً

وهو يرتدي جلد الأسود

Twitter: @ketab_n

وتغذى على الشعير الأخضر

لكنه نهق عندها حلّ به الدمار».

وفيما كان البائع الجوال ينشد أبياته، لفظ الحمار آخر أنفاسه!

Twitter: @ketab_n

الفلاح والمرابي

عاش هنا في قديم الزمان فلاح عانى الأمرّين على يد مرابٍ. فسواء كان محصوله جيداً أم سيئاً، ظل المزارع فقيراً دائماً، وبقي المرابي غنياً. وأخيراً وحين لم يتبق لديه شيء، قصد المزارع بيت المرابي وقال: «لا تستطيع أن تعصر الماء من حجر، ولأنك لن تستطيع الحصول على المزيد مني، فيستحسن أن تكشف لي عن سر الثراء».

قال المرابي، بنغمة الرجل الورع: «يا صديقي، الثروة تأتي من رام[1] فاطلبها منه».

«شكراً سأفعل». أجاب المزارع المسكين، ولذلك قام بإعداد ثلاثة أرغفة مدورة ليقتات عليها في رحلته، وانطلق باحثاً عن رام.

فالتقى أول من التقى براهمانياً، وأعطاه رغيفاً، وطلب منه أن يريه الطريق إلى رام، لكن البراهماني أخذ رغيف الخبز وسار في طريقه من دون أن ينطق ببنت شفة. ثم قابل ناسكاً وأعطاه

(1) أحد آلهة الهندوس (م).

Twitter: @ketab_n

رغيفاً، من دون أن يلقى منه أي رد. وأخيراً، صادف فقيراً يجلس تحت شجرة، وبعد أن علم بجوعه، قدم له المزارع الطيب آخر رغيف معه، وجلس إلى جانبه ليستريح.

سأله الرجل المسكين بعد حين: «إلى أين أنت ذاهب؟».

أجاب المزارع: «آه، أمامي رحلة طويلة، ذلك أني ماض للقاء رام! ولا أظن أن بإمكانك أن تدلني على الطريق إليه؟».

قال المسكين «ربما أستطيع»، ثم ابتسم وقال: «لأني أنا رام! فماذا تريد مني؟».

سرد له المزارع القصة بأكملها، وبعد أن عطف عليه رام، أعطاه محارة .وأفهمه كيفية النفخ فيها بطريقة معينة، قائلاً: «تذكر، إذا رغبت في أيّ شيء، فما عليك سوى أن تنفخ فيها بتلك الطريقة، وستتحقق أمنيتك. ما عليك سوى أن تحذر من ذلك المرابي، فحتى السحر لا يقي من شروره».

عاد المزارع إلى قريته فرحاً، وقد لاحظ المرابي ارتفاع معنوياته وقال لنفسه: «لابد من أن ثروة هبطت على هذا الغبي، بحيث يرفع رأسه جذلاً هكذا».

Twitter: @ketab_n

قصد بيت المزارع البسيط وهنّأه على حسن حظه بكلمات ماكرة متظاهراً أنه سمع بكل شيء، بحيث أن المزارع وجد نفسه يسرد القصة كاملة، باستثناء سر النفخ في المحّارة ذلك أنه على الرغم من كل بساطته، لم يكن بتلك الحماقة ليكشف عن ذلك السر.

لكن المرابي بقي عازماً على أن يحصل على المحارة بكل السبل، ولأنه كان نذلاً جداً ولا يهمه التمسك بتوافه الأمور، فقد انتظر حتى تحين الفرصة المؤاتية وسرق المحارة.

ولكن بعد أن استهلك نفسه في نفخ المحّارة بكل الطرق التي يمكن تخيلها، اضطر في النهاية إلى أن يتخلى عن السر مقراً بصعوبة المهمة. ورغم ذلك، ونتيجة لعزمه على النجاح في مهمته، عاد إلى المزارع وقال، ببرود: «اسمع، أخذت محارتك، ولكني لا أستطيع استعمالها، وأنت لم تحصل عليها، ولا تستطيع استعمالها أنت الآخر. الأعمال متوقفة هذه الأيام، فدعنا نتوصل إلى صفقة. أعدك بإعادة المحارة إليك، ولن أتدخل في استعمالك لها، ولكن بشرط واحد وهو أن أحصل على الضعف من كل ما تحصل عليه».

Twitter: @ketab_n

صرخ المزارع: «محال، ستعود إلى العمل القديم مرة أخرى».

ردّ المرابي الخبيث: «كلا على الإطلاق، ستأخذ حصتك، ولا تكن كالكلب في معلف الدابة، فلا تستعمله ولا تدع الآخرين يستعملونه، فلو حصلت على كل ما تريد، فما الذي يضيرك إن كنت أنا غنياً أم فقيراً؟».

وأخيراً، ورغم أنه لم يكن راغباً بتحقيق أي مكسب للمرابي، فقد اضطر المزارع إلى الإذعان، ومن ذلك الحين، ومهما كانت طبيعة ما يحصل عليه المزارع بفضل المحارة، كان المرابي يحصل على الضعف.

ولأنه كان يعرف أن ما يحصل عليه كان مرتبطاً بقرار المزارع ليلاً ونهاراً، لم يكن راضياً عن أي شيء.

في النهاية، حل موسم جفاف شديد أذبل محاصيل المزارع. فنفخ في بوقه، وتمنى أن يرزق ببئر ماء، وإذا بالبئر أمام ناظريه، ولكن المرابي حصل على بئرين! بئران جميلان! كان ذلك كثيراً جداً فلم يستطع المزارع تحمله، وراح صديقنا يتفكر ويتأمل في الأمر، حتى برقت في ذهنه في نهاية المطاف فكرة ذكية. أمسك بالمحارة ونفخ فيها بصوت عال، وصرخ:

Twitter: @ketab_n

«يا رام، أتمنى أن افقد البصر بعين واحدة من عينيّ». وهكذا كان، في لمح البصر، ولكن المرابي فقد البصر في عينيه الاثنتين طبعاً، وفي أثناء محاولته إيجاد طريقة بين البئرين الجديدين، سقط في أحدهما، وغرق.

هذه القصة توضح حقاً أن مزارعاً كسب المعركة مع مرابٍ إلا أنه فقد إحدى عينيه ثمناً لذلك.

Twitter: @ketab_n

ولد على جبينه قمر وعلى ذقنه نجمة

عاشت في أحد البلدان سبع بنات مع أبوين فقيرين، وقد اعتدن اللعب يومياً تحت الأشجار الظليلة في حديقة الملك مع ابنة البستاني، التي كانت تقول لهن: «عندما أتزوج سأنجب ولداً جميلاً لا مثيل لجماله في كل الأزمان، وسيكون على جبينه قمر وعلى ذقنه نجمة». وكانت رفيقاتها في اللعب يضحكن ويسخرن منها.

وفي أحد الأيام سمع الملك الفتاة وهي تحكي لهن عن الولد الوسيم الذي تحلم بإنجابه عندما تتزوج، وقال في نفسه إنه يودّ كثيراً أن يكون له ولد بمثل هذا الوصف، فهو وإن كان متزوجاً أصلاً من أربع ملكات، إلا أنه لم يرزق بطفل. ولذلك توجه إلى البستاني وأخبره أنه يرغب بالزواج من ابنته.

سُرّ البستاني وزوجته بذلك، وفكرا بأنه سيكون أمراً عظيماً أن تصبح ابنتهما أميرة.

Twitter: @ketab_n

وافقا على طلب الملك ودعوا كل أقربائهما والأصدقاء إلى حفل الزفاف.

ودعا الملك كل أقربائه وأصدقائه ومنح البستاني ما أراد من المال.

وأقيم الزفاف باحتفالية كبرى وفرح كبيرين.

وبعد عام اقترب الموعد الذي المقرر لابنة البستاني لكي تضع مولودها، وكانت زوجات الملك الأربع يأتين لزيارتها على الدوام.

وفي أحد الأيام قلن لها: «يخرج الملك إلى الصيد يومياً، وقد اقترب موعد ولادتك، افرضي أنك مرضت وهو في الصيد ولا يستطيع أن يعلم شيئاً عن مرضك، فماذا ستفعلين عندها؟».

عندما رجع الملك إلى البيت مساءً، قالت له ابنة البستاني: «كل يوم تخرج إلى الصيد، فلو تصادف أن وقعت في مشكلة أو مرضت في أثناء غيابك، فكيف لي أن أرسل في طلبك؟».

أعطاها الملك طبلاً ووضعه قرب الباب، وقال لها: «متى احتجت إليّ، اضربي على هذا الطبل. ومهما كنت بعيداً عنك، سأسمع ضربك، وسأكون عندك في الحال».

Twitter: @ketab_n

في الصباح التالي، خرج الملك إلى الصيد، وجاءت زوجاته الأربع ليزرن ابنة البستاني، وأخبرتهن عن الطبل، وقلن لها: «اضربي عليه لنرى إن كان الملك سيحضر حقاً؟».

قالت: «كلا لن أفعل، لماذا أستدعيه من الصيد وأنا لا أحتاج إليه؟».

فأجبن: «لا تهتمي لمقاطعة ممارسته للصيد، جربي إن كان سيحضر عندما تضربين على الطبل». وهكذا ولأجل إرضائهن ضربت على الطبل، وإذا بالملك يقف أمامها.

وسألها: «ما الذي دفعك إلى استدعائي؟ أترين لقد تركت صيدي حتى أراك».

قالت: «لا أريد شيئاً، أردت أن أعرف فقط إن كنت ستأتي لي عندما أضرب على طبلي».

قال الملك: «طيب، لكن لا تستدعيني مرة أخرى ما لم تكوني في حاجة حقيقية إلي».

ثم عاد إلى الصيد.

Twitter: @ketab_n

وفي اليوم التالي، بعدما خرج الملك للصيد كعادته، ذهبت الملكات الأربع لزيارة ابنة البستاني. توسلن إليها أن تقرع الطبل مرة أخرى، «لمجرد أن يرين إن كان سيأتي ليراها هذه المرة». رفضت في البدء، ولكنها وافقت في نهاية الأمر، وضربت الطبل، وحضر الملك. وعندما وجد أنها لم تكن مريضة أو تواجه مشكلة، غضب منها، وقال لها: «تركت صيدي مرتين وفقدت ما كنت سأصطاده لكي أصل إليك في حين أنك لم تكوني بحاجة إلي. والآن، اضربي على الطبل ما شئت من المرات، فلن آتي إليك». وخرج غاضباً.

في اليوم الثالث، مرضت ابنة البستاني، وضربت طبلها مرات ومرات، لكن الملك لم يأتي.

سمع صوت الطبل، ولكنه قال في نفسه: «ليست بحاجة إلي، فقط تجرب إن كنت سأذهب إليها أم لا».

في الوقت نفسه، حضرت الملكات الأربع، وقلن لها: «من العادات المألوفة هنا قبل ولادة طفل أن نعصب عيني أمه بمنديل حتى لا تراه هي أولاً، إذن دعينا نعصب عينيك».

Twitter: @ketab_n

أجابت: «حسناً، اعصبوا المنديل». وعصبت الزوجات الأربع المنديل على عينيها.

وبعد ذلك بفترة قصيرة، أنجبت ابنة البستاني طفلاً جميلاً، على جبهته قمر ونجمة على ذقنه، وقبل أن تراه أمه المسكينة، أخذت الزوجات الأربع الشريرات الولد إلى المربية وقلن لها: «لا تدعي هذا الطفل يصدر أدنى صوت، خشية أن تسمعه أمه، وفي الليل، إما أن تتخلصي منه بقتله وإما بإبعاده حتى لا تراه أمه بعد ذلك أبداً. وإذا ما أطعت أوامرنا، فسنجزيك العطاء». وقد فعلن ذلك كله بدافع الغيرة والحقد. أخذت المربية الطفل الصغير ووضعته في صندوق، فيما عادت الملكات الأربع إلى ابنة البستاني.

وقمن بوضع حجر في سرير ابنها الصغير، ثم أزحن المنديل عن عينيها وعرضن الحجر عليها وقلن: «انظري! هذا ولدك!».

بكت المسكينة بمرارة وفكرت: «ما الذي سيقوله الملك عندما يأتي ولا يجد طفلاً؟».

ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً. وعندما جاء الملك إلى البيت، جن جنونه من سماع أن زوجته الأصغر، ابنة البستاني، وقد

Twitter: @ketab_n

ولدت حجراً بدلاً من الولد الجميل الصغير الذي وعدته به. وأمر أن تعمل خادمة في القصر، ولم يتحدث إليها بعد ذلك.

وعند منتصف الليل، أخذت المربية الصندوق الذي كانت قد وضعت الأمير الصغير الجميل فيه، وخرجت إلى أرض فسيحة في الغابة.

هناك حفرت حفرة وتأكدت من إحكام إقفال غطاء الصندوق، ووضعته في الحفرة، رغم أن الطفل كان لا يزال حياً. وكان كلب الملك، المعروف باسم شانكار، قد تبع المربية ورأى ما فعلته بالصندوق.

وما إن عادت إلى الملكات الأربع (اللاتي دفعن لها الكثير من المال) حتى ذهب الكلب إلى الحفرة التي وضعت فيها المربية الصندوق، واستخرجه، ثم فتحه. وعندما شاهد الطفل الجميل الصغير، سُرّ كثيراً وقال في نفسه: «بقدرة الله سيبقى هذا الطفل حياً لن أؤذيه، ولن آكله، ولكني سأبتلعه وأخفيه في معدتي». وهذا ما فعل.

وبعد أن مرت ستة شهور، ذهب الكلب إلى الغابة ليلاً، وفكر في نفسه «لا أدري إن كان الطفل ما زال حياً أو ميتاً».

Twitter: @ketab_n

عندها أخرج الطفل من معدته وراح يستمتع بجماله.

كان الطفل في حينها قد بلغ سن ستة شهور. وبعد أن داعبه شانكار وأحبه، ابتلعه مرة أخرى لستة أشهر إضافية، وعند نهاية تلك الفترة، ذهب مرة أخرى إلى السهل الواسع في الغابة ليلاً. وأخرج الطفل من معدته (كان الطفل قد تجاوز عمر سنة واحدة)، وراح يداعبه ويلاطفه لفترة طويلة وسعد كثيراً بجماله الأخاذ.

في الأثناء، كان مربي الكلب قد تبعه ورأى كل ما فعله، والطفل الصغير الجميل، فهرع عائداً إلى الملكات الأربع وقال: «في أحشاء كلب الملك يوجد طفل! أجمل طفل! له وجه قمر ونجمة على ذقنه. لم أر في حياتي مثل هذا الطفل!».

ارتعبت الزوجات الأربع من هذا الخبر كثيراً، وحالما عاد الملك من الصيد، قلن له: «في أثناء غيابك دخل كلبك إلى غرفنا ومزق ثيابنا وكسر كل الأشياء. نخشى أنه سيقتلنا».

قال الملك: «لا تخفن، تناولن العشاء، وأبشرن. سآمر بقتل الكلب صباح الغد».

Twitter: @ketab_n

ثم أمر الخدم بأن يقتلوا الكلب فجزاً، لكن الكلب سمعه، وقال في نفسه: «ماذا سأفعل؟ الملك ينوي قتلي. لا أهتم لذلك. ولكن ما الذي سيحل بالطفل لو قتلت؟ سيموت. لكني سأرى إن كنت أستطيع إنقاذه».

عندها هبط الليل، سارع الكلب إلى بقرة الملك، التي كان اسمها «ساري». وقال لها: «ساري، أريد أن أعطيك شيئاً، لأن الملك أصدر أمراً بقتلي غداً. فهل ستهتمين به؟».

قالت «ساري»: «لنر ما هو وسأهتم به إن استطعت».

ذهبا معاً إلى السهل الواسع، وهناك أحضر الكلب الطفل، سحرت «ساري» بجماله وقالت: «لم تقع عيني قبلاً على مثل هذا الطفل الجميل في هذا البلد، لاحظ هناك قمر على جبهة رأسه ونجمة على ذقنه. سأهتم به أيما اهتمام».

وهكذا، ابتلعت الأمير الصغير، فشكرها الكلب كثيراً، وسلم عليها وقال: «سأموت غداً».

ثم عادت البقرة إلى زريبتها.

عند فجر اليوم التالي أُخذ الكلب إلى الغابة وقتل.

Twitter: @ketab_n

عاش الطفل في معدة «ساري»، وبعد أن انقضت سنة كاملة وأصبح عمره سنتين، ذهبت البقرة إلى السهل الواسع، وقالت لنفسها: «لا أدري إن كان الطفل حياً أم ميتاً لكني لم أؤذه، لنرى إذن».

ثم أخرجت الطفل، وراح يلهو من حولها، وسرّت به البقرة، فقد أحبته وراحت تداعبه وتتحدّث معه. ثم بلعته وعادت إلى الزريبة. وفي نهاية السنة، ذهبت إلى السهل مرة أخرى وأخرجت الطفل. راح يلعب ويركض لمدة ساعة وهي تراقبه بفرح، وتحدثت إليه وداعبته. أسعدها جماله، ثم بلعته مرة أخرى وعادت إلى الزريبة. صار عمره الآن ثلاث سنوات.

لكن راعي البقرة كان يراقبها هذه المرة، وشاهد الطفل المدهش وكل ما فعلته له. عاد مسرعاً إلى الزوجات الأربع وقال لهن: «بقرة الملك لديها طفل جميل في جوفها، له وجه القمر ونجمة على ذقنه. لم أرَ مثل هذا الطفل من قبل!».

فزعت الملكات الأربع من هذا الخبر، ومزقن ملابسهن وشعرهن ورحن يصرخن. وعندما عاد الملك إلى البيت في المساء، سألهن عن سبب هياجهن. فقلن له: «دخلت علينا بقرتك، وأرادت قتلنا، وقد مزقت شعورنا وملابسنا ولكننا هربنا منها».

Twitter: @ketab_n

قال الملك: «لا بأس، تناولن العشاء وأبشرن. ستذبح البقرة في صباح الغد».

سمعت البقرة «ساري» أمر الملك لخدمه، فقالت لنفسها: «ما الذي سأفعله لإنقاذ الطفل؟».

وعندما حان منتصف الليل، ذهبت إلى حصان الملك، الذي يدعى «كاتار» وكان حصاناً شرساً غير قابل للترويض. ولم يتمكن أحد من امتطائه، وفي الحقيقة، لم يستطع أحد حتى الاقتراب منه، فقد كان متوحشاً.

قالت «ساري» للحصان: «كاتار، هل ستعتني بشيء أريد أن أعطيه إياك، لأن الملك أمر بذبحي غداً».

قال «كاتار»: «حسناً، أريني ما هو».

أخرجت البقرة الطفل وسرّ الحصان لمنظره وأجاب: «نعم، سأبذل قصارى جهدي لأهتم به. حتى اللحظة لم يتمكن أحد من ركوبي ولكن هذا الطفل، سيركب على ظهري».

ثم بلع الطفل، وبعد أن فعل ذلك، حيّته البقرة كثيراً، وقالت: «من أجل هذا الصبي سأموت».

Twitter: @ketab_n

وفي صباح اليوم التالي أُخذت إلى الغابة وذبحت.

عاش الولد الوسيم في جوف الحصان، وبقي فيه عاماً كاملاً. وفي نهاية ذلك العام، فكر الحصان في نفسه، وقال: «سأرى إن كان هذا الطفل لا يزال على قيد الحياة أم مات».

فأخرجه. وقد أحبه، وراح يلاطفه، وراح الأمير الصغير يلهو حول الإصطبل، الذي لم يسمح للحصان بالخروج منه. فرح «كاتار» بالولد كثيراً، الذي صار عمره الآن أربع سنوات، وبعد أن لعب لبعض الوقت، بلعه الحصان مرة أخرى، وفي نهاية تلك السنة، وعندما بلغ الصبي عمر الخامسة، أخرجه كاتار مرة أخرى، وداعبه وأحبه، وتركه يلعب حول الإصطبل كما فعل في العام الماضي. ثم بلعه من جديد.

لكن السائس رآه هذه المرة ورأى كل ما جرى، وفي الصباح، وبعد أن خرج الملك للصيد، ذهب إلى الملكات الثريرات الأربع وأخبرهن بما رأى، وحدثهن عن الطفل المدهش الجميل الذي يعيش في جوف حصان الملك، وبعد سماعهن قصة السائس، صرخت الملكات الأربع ومزقن شعورهن وملابسهن، ورفضن الأكل، وعندما عاد الأكل في المساء وسألهن عن سبب تعاستهن، قلن له: «لقد دخل حصانك كاتار علينا ومزق ملابسنا، وقلب كل الأشياء، وهربنا خشية أن يقتلنا».

Twitter: @ketab_n

فقال الملك: «لا بأس، تناولن العشاء وأبشرن. سيعدم كاتار غداً».

ثم فكر أن رجلين وحدهما لن يستطيعا قتل هذا الحصان الوحشي، فأوعز لجنوده بأن يطلقوا النار عليه.

في اليوم التالي حاصر جنود الملك الإصطبل، وقال لهم الملك إنه سيعدم كل من يسمح للحصان بالهرب.

كان الحصان في أثناء ذلك قد سمع هذه الأوامر، فأخرج الطفل من جوفه وقال له: «ادخل إلى الغرفة الصغيرة التي تؤدي إلى خارج الإصطبل، وستجد فيها سرجاً ولجاماً يجب أن تضعها عليّ. وستجد في الغرفة ملابس جميلة مثل ملابس الأمراء، عليك أن تلبسها، وخذ معك السيف والبندقية حيث ستجدهما هناك أيضاً. بعدها اركب على ظهري».

كان «كاتار» حصاناً من الجن، قدم من موطن الجن والسحرة ولذلك استطاع أن يحصل على كل ما يريده، ولكن لم يكن الملك ولا أيّ من أتباعه على علم بذلك. وعندما جهز كل شيء، انطلق «كاتار» من مربطه، والأمير على ظهره ومرّ مسرعاً من أمام الملك نفسه الذي لم يجد وقتاً لإطلاق النار عليه، وجرى بسرعة مبتعداً

Twitter: @ketab_n

حتى وصل إلى السهول. شاهد الملك حصانه يحمل ولداً على ظهره، لكنه لم يستطع تمييز الولد. حاول الجنود عبثاً أن يصيبوا الحصان، فقد هرب بسرعة كبيرة، وأخيراً، انتشروا جميعاً حول السهل. واضطر الملك بعدها إلى الاستسلام، وعاد إلى البيت، وعاد الجنود إلى بيوتهم. لم يستطع قتل أي من جنوده بسبب تركهم الحصان يهرب، لأنه هو نفسه تركه يهرب.

ثم جرى «كاتار» مبتعداً، بعيداً بعيداً، وحين حلّ الليل باتا تحت شجرة، هو وابن الملك، أكل الحصان حشيشاً، وأكل الولد فاكهة برية وجدها في الغابة.

في الصباح التالي، بدآ الرحلة من جديد، وابتعدا، حتى وصلا إلى غابة في بلد آخر، لا يتبع لوالد الأمير الصغير بل لملك آخر.

وحين وصلا قال «كاتار» للولد: «والآن انزل عن ظهري». فقفز الولد عن ظهره. «فك السرج وأبعد عني اللجام، واخلع ملابسك الجميلة وضمها في صرة مع سيفك وبندقيتك».

فأطاعه الصبي. ثم أعطاه الحصان ملابس رثة وطلب منه أن يلبسها. وحالما لبسها قال له الحصان: «أخف الصرة في هذا العشب، وسأهتم بها نيابة عنك، فسأبقى دائماً في سهل الغابة،

Twitter: @ketab_n

وحين تحتاج إليّ ستجدني دائماً. والآن اذهب وجِد عملاً لدى أحدهم في هذا البلد».

حزن الولد لذلك. وقال: «لا أعرف شيئاً عن أي شيء، ما الذي سأفعله وحدي في هذا البلد؟».

أجاب «كاتار»: «لا تخف، ستجد عملاً، وسأبقى أنا دائماً هنا لمساعدتك كلما احتجت إليّ، اذهب، وقبل أن تذهب، افرك أذني اليمنى»، وفركها الولد، فتحول الحصان على الفور إلى حمار.

«والآن افرك أذنك اليمنى». وعندما فركها الولد، لم يعد ذلك الأمير الوسيم، بل صار رجلاً فقيراً عادي الملامح بشعاً، واختفى قمره ونجمته.

ثم ابتعد متوجهاً إلى البلد، حتى وصل عند تاجر حبوب. سأله التاجر عن نفسه فقال «أنا رجل مسكين أبحث عن عمل».

«حسناً، ستكون خادماً عندي».

كان التاجر يسكن بالقرب من قصر الملك. وفي إحدى الليالي، وعند منتصف الليل، كان الولد يعاني من شدّة الحر فخرج إلى حديقة الملك الباردة وبدأ يغني أغنية حب. سمعته ابنة الملك

Twitter: @ketab_n

السابعة وأصغرهن سناً، وتساءلت من يكون هذا الذي يغني بمثل هذا الصوت العذب. ارتدت ملابسها ولفّت شعرها، ونزلت إلى الحديقة فوجدت الرجل الرث ممداً على العشب يغني.

سألته: «من أنت، ومن أي البلاد أتيت؟».

لم يجب.

ثم راحت الأميرة تقول لنفسها: «من هذا الرجل الذي لا يرد عليّ عندما أكلمه؟».

ثم ابتعدت. وفي الليلة الثانية، تكرر الأمر نفسه. وهكذا في الليلة الثالثة، وعندما وجدت في هذه الليلة أن الرجل لا يجيب عن سؤالها، قالت له: «أي رجل غريب أنت لا ترد عليّ عندما أكلمك!».

ورغم ذلك، بقي صامتاً، وذهبت هي مبتعدة.

في اليوم التالي، وبعد أن انتهى من عمله، ذهب الأمير الشاب إلى الغابة ليرى حصانه. الذي سأله: «هل أنت راضٍ وسعيد؟».

أجاب الصبي: «نعم، أنا سعيد، أعمل لدى تاجر حبوب. وخلال الليالي الثلاث الماضية كنت أذهب إلى حديقة الملك

Twitter: @ketab_n

وأنشد أغنية، وفي كل ليلة تأتي الأميرة الصغرى وتسألني عن شخصي وعن البلد الذي أتيت منه، ولم أرد عليها بشيء. فماذا يجب أن أفعل؟».

قال الحصان: «عندما تسألك في المرة المقبلة عن اسمك، قل لها إنك رجل فقير بائس وإنك جئت من بلادك بحثاً عن عمل هنا!». عاد الولد إلى بيت تاجر الحبوب وفي الليل، بعد أن أخلد الجميع إلى النوم، خرج إلى حديقة الملك وراح يغني أغنيته الجميلة مرة أخرى. سمعته الأميرة الصغيرة، فنهضت، ولبست ثيابها، ثم جاءت إليه، وسألته: «من أنت؟ ومن أي البلاد أتيت؟».

أجاب: «أنا رجل فقير جداً. وجئت من بلدي بحثاً عن عمل هنا، وأنا أعمل لدى تاجر الحبوب».

ثم ابتعدت. ولثلاث ليال أخرى، غنى الولد في حديقة الملك، وفي كل ليلة كانت الأميرة تأتي وتسأله الأسئلة السابقة نفسها، فيرد عليها الولد بالأجوبة نفسها.

بعدها ذهبت إلى أبيها وقالت له: «أبي، أريد أن أتزوج. ولكن يجب أن أختار زوجي بنفسي».

Twitter: @ketab_n

وافق والدها على ذلك وكتب موجهاً الدعوات لكل الملوك والأمراء في البلاد، قائلاً: «ابنتي الصغرى ترغب في الزواج، ولكنها تصر على أن تختار زوجها بنفسها. ولأني لا أعرف من هو الذي ترغب في الزواج منه، أرجوكم أن تأتوا جميعاً في يوم محدد، لكي تراكم وتختار من بينكم».

قبِل عدد كبير من الملوك والأمراء وأبنائهم دعوته وحضروا. وعندما وصلوا جميعاً، قال لهم والد الأميرة الصغيرة: «صباح غدٍ، يجب أن تجلسوا جميعاً في حديقتي (وكانت حديقة الملك كبيرة جداً) لأن ابنتي ستأتي وتراكم جميعاً وتختار زوجها. ولا أعرف من ستختار».

طلبت الأميرة الصغرى أن يحضروا لها فيلاً كبيراً لتستعد لصباح اليوم التالي. وعندما أطل الصباح، وكان الجميع مستعداً، لبست أحلى ملابسها، ووضعت أجمل حليّها، ثم ركبت على ظهر الفيل، الذي كان قد طلي باللون الأزرق، وحملت في يدها قلادة من ذهب.

دخلت الحديقة حيث يجلس الملوك والأمراء وأبناؤهم، وكان الولد، خادم تاجر الحبوب، موجوداً هو الآخر في الحديقة، ليس كخاطب، بل للفرجة مع بقية الخدم.

Twitter: @ketab_n

جالت الأميرة في أرجاء الحديقة، ونظرت إلى كل الملوك والأمراء وأبنائهم، ثم علقت القلادة الذهبية حول رقبة الولد، خادم تاجر الحبوب. ضحك الجميع من هذه الحركة، ولقد ذهل الملوك. ثم قالوا: «أي سخف هـذا؟»، دفعوا الرجل الذي تظاهر بالفقر، بعيداً، وفكوا القلادة عن رقبته. وقالوا له: «اخرج، أيها الفقير القذر، ملابسك قذرة جداً فلا يمكنك الاقتراب منا!».

ابتعد الولد عنهم، ووقف على مسافة منهم ليرى ما الذي سيحدث.

قامت الأميرة الصغيرة بجولة أخرى في الحديقة، حاملة قلادتها الذهبية في يدها، ثم قامت مرة أخرى بتعليق القلادة حول رقبة الفتى. ضحك الجميع من ذلك وقالوا: «كيف يمكن لابنة الملك أن تفكر في الزواج من هذا الرجل البائس الفقير!».

وطلب الملوك والأمراء الذين قدموا خاطبين ليدها، إخراج الفتى، لكن الأميرة قالت: «احـذروا، احـذروا، لا يحق لكم إبعاده. اتركوه».

Twitter: @ketab_n

ثم وضعته على ظهر فيلها وأخذته إلى القصر، ذهل الملوك والأمراء وأبناؤهم من هذا التصرف، وقالوا: «ماذا يعني ذلك؟ الأميرة لا تبدي اهتماماً للزواج بواحد منا، ولكنها تختار رجلاً معدماً كهذا!».

وقف والدها بعد ذلك، وقال لهم جميعاً: «وعدت ابنتي أن تتزوج من أي رجل يعجبها، وقد اختارت الفقير مرتين، وستتزوجه».

وهكذا تزوج الفتى والأميرة في حفل بهيج. وقد رضي أبواها باختيارها. وعاد الملوك والأمراء وأبناؤهم من حيث أتوا.

كانت أخوات الأميرة الست متزوجات من أمراء أغنياء، وقد سخرن من اختيارها رجلاً فقيراً وقميئاً كما بدا لهن، وكن يقلن الواحدة للأخرى، ساخرات: «أترين، لقد تزوجت أختنا من هذا الرجل العمومي المعدم!».

اعتاد أزواجهن الستة على الخروج للصيد كل يوم، وفي كل مساء كانوا يعودون إلى البيت بأعداد كبيرة من كافة أنواع الطرائد لزوجاتهم اللاتي كن يطبخن الصيد لعشائهن ولعشاء الملك. لكن زوج الأميرة الصغرى كان يبقى في البيت دائماً، ولم

Twitter: @ketab_n

يخرج للصيد على الإطلاق. الأمر الذي أحزنها كثيراً، وقالت لنفسها: «أزواج أخواتي يخرجون للصيد يومياً، ولكن زوجي لا يخرج للصيد قطّ».

وأخيراً قالت له: «لماذا لا تخرج للصيد كما يفعل أزواج أخواتي كل يوم، ويعودون كل يوم بصيد وفير من كافة أنواع الطرائد؟ لماذا تبقى في البيت دائماً، بدلاً من أن تخرج كما يفعلون؟». قال لها يوماً: «سأخرج اليوم، لأسابق الريح؟».

فأجابت: «جيد جداً. اذهب وخذ حصاناً».

قال الأمير: «كلا، لن أركب بل سأمشي».

ثم ذهب إلى سهل الغابة حيث ترك «كاتار» الذي ظل طوال تلك الفترة يبدو حماراً، ثم أخبر «كاتار» بكل شيء وقال له: «اسمع، تزوجت من الأميرة الصغرى، فسخر منها الجميع بسبب اختيارها لي وقالوا: أيّ مسكين بائس اختارت أميرتنا زوجاً لها؟ بالإضافة إلى ذلك، فإن زوجتي حزينة، لأن أزواج أخواتها الستّ يخرجون للصيد كل يوم، ويعودون بأعداد كبيرة من الطرائد، ولذلك كانت زوجاتهم فخورات بهم. ولكني أظل في البيت طوال اليوم، ولا أخرج للصيد، أشعر بأن لدي رغبة كبيرة في الصيد».

Twitter: @ketab_n

قال «كاتار»: «حسناً، افرك أذني اليسرى»، وما إن فرك الفتى أذنه حتى عاد «كاتار» حصاناً من جديد. ثم قال للفتى: «اقرص أذنك اليسرى وسترى أي أمير شاب ووسيم ستصبح».

وهكذا فرك الفتى أذنه اليسرى، ولم يعد ذلك الرجل العادي البائس القميء بل صار أميراً شاباً قوياً، له قمر على جبهته ونجمة على ذقنه. ثم لبس ملابسه الرائعة، وأسرج كاتار ووضع له اللجام، وامتطاه حاملاً سيفه وبندقيته، وانطلق للصيد.

ذهب بعيداً، واصطاد الكثير من الطيور وعدداً من الغزلان. في ذلك اليوم، لم يستطع أزواج شقيقات الأميرة صيد شيء، لأن الأمير الوسيم لم يترك لهم شيئاً من الطرائد. تجوّل الرجال الستة طوال اليوم تقريباً بحثاً عن طريدة ولكن عبثاً، إلى أن أنهكهم الجوع والعطش، ولم يجدوا ماء، ولم يكن لديهم طعام. في الوقت نفسه جلس الأمير الوسيم يجلس تحت شجرة ليأكل ويستريح، وهناك وجده أزواج أخوات زوجته وإلى جانبه ماء عذب ولحم مشوي.

عندما شاهدوا الأمراء الستة الفتى، قالوا: «انظروا إلى ذلك الأمير الوسيم، على جبينه قمر ونجمة على ذقنه. لم نر في الغابة من قبل مثل هذا الأمير، لابد من أنه آت من بلد آخر».

Twitter: @ketab_n

ثم اقتربوا منه، وسلموا عليه، وتوسلوا إليه أن يعطيهم شيئاً من الطعام والماء. فسألهم الأمير الشاب: «من أنتم؟».

قالوا: «نحن أزواج البنات الست لملك هذه البلاد، وقد قضينا اليوم كله في الصيد، ونحن جائعون وعطاشى». ولم يميّزوا في الشاب شخص صهرهم.

قال الأمير الشاب: «حسناً، سأقدّم لكم الطعام والشراب إذا نفذتم ما آمركم به».

فقالوا: «سنفعل كل ما تأمرنا به، لأننا إن لم نفعل متنا جوعاً».

«جيد جداً، يجب أن تدعوني الآن أن أختم على ظهر كل واحد منكم بقطعة نقود ساخنة جداً، بعدها سأعطيكم الطعام والماء. فهل أنتم موافقون؟».

وافق الأمراء الستة وقالوا فيما بينهم: «لن يرى أحد ختم العملة، لأنها ستكون مخفية تحت ملابسنا، وسنموت إن لم نشرب الماء».

أخذ الأمير قطع النقود من فئة «البانس»[1] وقام بتحميتها حتى صارت حمراء كالجمر. وختم بواحدة على ظهر كل واحد

(1) عملة هندية قديمة تساوي 1/64 من الروبية (م).

Twitter: @ketab_n

من الأمـراء. وأعطاهم الطعام والماء. فأكلوا وشربوا، وعندما انتهوا، سلّموا عليه كثيراً وعادوا أدراجهم إلى البيت.

بقي الأمير الشاب تحت الشجرة حتى المساء، ثم ركب حصانه وانطلق إلى قصر الملك. نظر إليه الناس جميعاً في أثناء مروره وهو على ظهر الحصان، قائلين: «يا له من أمير رائع الجمال! قمر على جبهته وعلى ذقنه نجمة».

ولكن لم يميزه أحد، وعندما اقترب من قصر الملك سأله كل خدم الملك من يكون، ولأن أياً من حرس البوابة لم يعرفه، لم يسمحوا له بالمرور، وتساءلوا من يكون، وقالوا إنه أوسم أمير رأوه في حياتهم.

وأخيراً أجاب: «أنا زوج أميرتكم الأصغر».

ولكنهم ردوا عليه قائلين: «كلا، كلا، يستحيل أن تكون هو، لأن زوجها رجل فقير وقميء وعادي القسمات».

ردّ الأمير: «ولكني هو حقاً».

ولم يصدقه أحد.

«قل الحقيقة من أنت؟».

Twitter: @ketab_n

فقال الأمير الشاب: «ربما لا تستطيعون معرفة هويتي، ولكن استدعوا الأميرة الصغيرة إلى هنا. أريد التحدث إليها».

فأرسل الخدم في طلبها، وحضرت، وقالت على الفور: «هذا الرجل ليس زوجي، زوجي ليس بوسامة هذا الرجل. لابد من أنه أمير آت من بلد آخر».

ثم سألته: «من أنت؟ ولماذا تزعم أنك زوجي؟».

«لأني أنا زوجك، هذه هي الحقيقة».

فردت عليه الأميرة الصغيرة: «كلا، لست كذلك، أنت لا تقول الحقيقة، فزوجي ليس بوسامتك، أنا متزوجة من رجل فقير من عامة الناس».

فأجاب: «هذا صحيح، ولكنني أنا زوجك رغم ذلك، كنت خادم تاجر الحبوب، وفي إحدى الليالي الحارة خرجت إلى حديقة أبيك وأنشدت أغنية، وسمعتني، وجئت وسألتني عمن أكون ومن أي بلد أتيت، ولم أجبك. وحدث ذلك في الليلة التالية، والتي بعدها، وفي الرابعة قلت لك إني رجل مسكين أتيت من بلدك بحثاً عن عمل، وإني أعمل خادماً لدى تاجر الحبوب، ثم قلت لوالدك إنك ترغبين بالزواج، ولكن يجب أن تختاري

Twitter: @ketab_n

زوجك بنفسك، وعندما جلب كل الملوك والأمراء في حديقة والدك، جلست على ظهر فيل وجلت حولهم ونظرت إليهم، ثم علقت قلادتك الذهبية حول رقبتي مرتين، واخترتني. انظري، هذه هي قلادتك، وها هما الخاتم والمنديل اللذان أعطيتني إياهما في يوم زفافنا».

حينئذ صدّقته، وقد سرت كثيراً من كون زوجها يمثل هذه الوسامة. وقالت له :«أي رجل غريب أنت؟ حتى اللحظة كنت رجلاً فقيراً وقبيحاً وعادي الملامح، وها أنت تبدوا أميراً وسيماً لم أر في حياتي من يضاهيه وسامة؛ رجل على جبينه قمر وعلى ذقنه نجمة».

ثم أخذته إلى القصر، وقدمته لأبيها وأمها وللجميع، وقالوا جميعاً إنهم لم يروا شبيهاً له وكانوا في غاية السعادة.

وعاش الأمير في قصر الملك مع زوجته، وعاش حصانه «كاتار» في الإصطبلات الملكية.

وفي أحد الأيام، وعندما كان الملك وأصهرته السبعة يجلسون في قاعة البلاط، التي غصّت بالحاضرين، قال له الأمير: «ثمة ستة لصوص في بلاطك».

Twitter: @ketab_n

تساءل الملك: «ستة لصوص؟ أين هم؟ أرني اياهم؟».

فقال الأمير: «ها هم».

وأشار إلى أصهرته الستة. ذهل الملك وكل من كان حاضراً من ذلك، ولم يصدقوا الأمير، الذي قال: «مرهم بخلع معاطفهم، وسترى بنفسك أن على ظهر كل واحد منهم ختم لص».

وهكذا، وبعد أن خلعوا معاطفهم، رأى الملك والحاضرون علامة ختم قطعة النقود. شعر الأمراء الستة بالعار، ولكن الأمير الشاب كان سعيداً، إذ أنه لم ينس كيف سخر منه أزواج شقيقات زوجته وضحكوا عليه عندما بدا فقيراً عادياً.

وكان الحصان «كاتار» وقبل أن يتزوج الأمير، قد أخبر الفتى بقصة ولادته، وكل ما حصل له ولأمه. وقال له :«عندما تتزوج، سآخذك إلى بلاد والدك».

وبعد شهرين من انتقام الأمير الشاب من أصهرته، قال له «كاتار»: «حان الوقت لتعود إلى أبيك، أطلب من الملك أن يأذن لك بالذهاب إلى بلادك، وسأخبرك بما يجب عليك فعله حين تصل إلى هناك».

Twitter: @ketab_n

فعل الفتى كل ما طلب منه الحصان، فذهب إلى زوجته وقال لها: «لي رغبة شديدة في الذهاب إلى بلادي لأرى أبي وأمي».

قالت زوجته: «جيد جداً، سأبلغ أبي وأمي، وأطلب منهما الإذن بالذهاب».

ثم ذهبت إليهما فأذنا لها ولزوجها بالرحيل، وأعطى الملك لابنته والأمير الشاب الكثير من الخيول والفيلة وكل أنواع الهدايا وموكباً كبيراً من الجنود لحراستهما.

وهكذا رحلا في هذا الموكب المهيب إلى بلاد الأمير التي لم تكن تبعد كثيراً عن بلاد زوجته. وعندما وصلا، ضربا خيامهم في السهل نفسه الذي تركت فيه المربية الأمير في الصندوق، وحيث ابتلعه الكلب «شانكار» والبقرة «ساري».

وعندما شاهد الملك مخيم الأمير، انتابته حالة من الحذر، واعتقد أن ملكاً عظيماً جاء ليشن حرباً عليه فأرسل أحد رسله، ليسأل عن هذا المخيم ومن يملكه، فكتب له الأمير رسالة قال فيها: «أنت ملك عظيم، لا تخشني. لم آت لأشن حرباً عليك. فأنا بمثابة ولدك، وأنا أمير أتى لزيارة بلادك وليتحدث إليك. وأرغب في أن أقيم لك مأدبة كبيرة، تدعو إليها كل من في بلادك،

Twitter: @ketab_n

رجالاً ونساء، شيباً وشباباً، أغنياء وفقراء، ومن كافة الطبقات، يجب أن تأتي بهم جميعاً إلى هنا لمدة أسبوع، وسيحلون جميعاً ضيوفاً عليّ».

فرح الملك بالرسالة وأمر الرجال والنساء والأطفال من كافة الطبقات في بلاده بالذهاب يذهبوا إلى مخيم الأمير لحضور مأدبة كبرى يقيمها الأمير على شرفهم. فحضر الجميع ومن ضمنهم الملك الذي أحضر معه زوجاته الأربع. ولكن بقيت ابنة البستاني إذ لم يخبرها أحد بالذهاب إلى المأدبة، لأن أحداً لم يفكر بها.

وعندما اجتمع الناس جميعاً، وجد الأمير أن أمه ليست بينهم، فسأل الملك: «هل حضر جميع أهل بلادك إلى مأدبتي؟».

فقال الملك: «نعم، حضر الجميع».

فسأله الأمير: «أأنت متأكد من ذلك؟».

فأجاب الملك: «متأكد تماماً».

فقال الأمير: «أنا متأكد أن امرأة واحدة لم تأت، وهي ابنة البستاني، التي كانت زوجتك في الماضي وهي الآن خادمة في قصرك».

Twitter: @ketab_n

قال الملك: «صحيح، لقد نسيتها».

عندها أمر الأمير خدمه بأن يأخذوا أفضل محفة لديه ويحضروا فيها ابنة البستاني، وأمرهم بأن يحمموها ويلبسوها أجمل الثياب وأحلى المجوهرات، ويحضروها إليه محمولة على المحفة.

في أثناء إحضار الخدم لابنة البستاني، راح الملك يتأمل وسامة الأمير الشاب وبهائه، ولاحظ على وجه الخصوص القمر الذي يتوسط جبينه والنجمة التي على ذقنه، وتساءل عن البلد الذي ولد فيه الأمير الشاب.

وصل الخدم حاملين ابنة البستاني وذهب إليها الأمير بنفسه وأنزلها منها، وأوصلها إلى الخيمة، وقدم لها التحيات العظيمة، وقد شاهدته الزوجات الثريرات الأربع واستشطن غضباً، وتذكرن أن الأمير لم يقدم لهن الاحترام والتحيات حين وصلن ولم يبد أدنى اهتمام بهن في حين أنه لم يمنع نفسه من تقديم احترامه لابنة البستاني، وبدا في غاية الفرح لرؤيتها.

وعندما بدأ العشاء، قدم الأمير الشاب المزيد من التحيات والسلام لابنة البستاني، وقدم لها الطعام من أطيب الأطباق. وتعجبت من عطفه عليها. وتساءلت في سرّها: «ترى من يكون

Twitter: @ketab_n

هذا الأمير الوسيم، الذي يظهر قمر على جبهته قمر وتلمع نجمة على ذقنه؟ ما رأيت بجماله أحداً قطّ.. فمن أي البلاد أتى؟».

مضت ثلاثة أيام على الحفل، وطيلة هذه المدة كان الملك وحاشيته يتحدثون عن جمال الأمير، متسائلين عمن يكون.

وفي أحد الأيام سأل الأمير الملك إن كان له أطفال، فأجاب: «كلا، ليس لي أي طفل».

فسأله الأمير: «هل تعرف من أكون؟».

قال الملك: «كلا، قل لي من تكون».

«أنا ابنك، وابنة البستاني هي أمي».

هز الملك رأسه حزناً وقال: «كيف تكون ولدي، وأنا لم أرزق بأيّ طفل؟».

قال الأمير: «ولكني ابنك، زوجاتك الشريرات الأربع أخبرنك أن ابنة البستاني وضعت حجراً وليس ولداً، وفي الحقيقة، كن هنّ اللائي وضعن الحجر في مهدي ثم حاولن قتلي».

لم يصدقه الملك، قال: «أتمنى أن تكون أنت ولدي، ولكن ولأنني لم أرزق بطفل، لا يمكنك أن تكون ولدي».

Twitter: @ketab_n

ثم قال له الأمير: «هل تتذكر كلبك، شانكار، كيف قتلته؟ وهل تتذكر بقرتك ساري، وكيف أمرت بقتلها؟ زوجاتك طلبن منك قتلهما بسببي». وبعد أن أخذ الملك إلى الحصان كاتار سأله: «هل تعرف حصان من هذا؟».

نظر الملك إلى كاتار وقال: «هذا حصاني كاتار».

قال الأمير: «نعم، هل تتذكر الطريقة التي خرج بها من إصطبلك وأنا راكب على ظهره؟».

أخبر الحصان كاتار الملك بأن الأمير ابنه فعلاً، وحكى له قصة ولادته وحياته حتى تلك اللحظة، وعندما اكتشف الملك أن الأمير الوسيم ابنه، فرح أشدّ الفرح. أحاطه بذراعيه وقبّله وبكى من شدة الفرح.

قال الملك: «والآن، لابد من أن تأتي معي إلى قصري، وتعيش معي دائماً».

فقال الأمير: «كلا، هذا ما لا أستطيعه. لا أستطيع الذهاب إلى قصرك. جئت إلى هنا لأحضر أمي، وبعد أن عثرت عليها، سآخذها معي إلى قصر والد زوجتي، فقد تزوجت من ابنة ملك، ونحن نعيش مع والدها».

Twitter: @ketab_n

قال له والده: «ولكني وجدتك للتو، ولا يمكنني أن أتركك تذهب، يجب أن تعيش أنت وزوجتك مع أمك ومعي في قصري».

رد الأمير: «لن نفعل هذا قبل أن تقتل زوجاتك الشريرات الأربع بيديك، فإذا فعلت ذلك، سنأتي ونعيش معك».

قتل الملك زوجاته، وذهب وزوجته، ابنة البستاني، والأمير وزوجته، ليعيشوا في قصر الملك، وعاشوا هناك بسعادة بعد ذلك إلى الأبد، وشكر الملك الله لأنه رزقه بهذا الولد الوسيم وخلصه من زوجاته الشريرات الأربع.

لم يعد «كاتار» إلى بلاد الجن، وبقي مع الأمير الشاب.

Twitter: @ketab_n

الأمير والفقير

كان هناك ملك لم يرزق بأطفال.

وفي يوم من الأيام ذهب هذا الملك واستلقى عند تقاطع طرق لكي يمرّ عليه كل عابر من هناك.

وذات مرة مرّ ناسك فقير وقال للملك: «أيها السيد، ما الذي يضطرك إلى النوم هنا؟».

فرّد عليه: «أيها الفقير لقد مرّ ألف رجل قبلك من هنا، فمر أنت معهم».

لكن الفقير قال له: «ومن أنت أيها الرجل؟».

أجاب الملك: «أنا ملك أيها الفقير، ولدي الكثير من الذهب والمال، ولكنني عشت طويلاً ولم أرزق بأطفال. لذلك أتيت إلى هنا واستلقيت عند تقاطع الطرق. لقد ارتكبت الكثير من الذنوب والمعاصي، لذلك جئت واستلقيت هنا كي يمر الناس من

Twitter: @ketab_n

فوقي علّ ذنوبي تغتفر، ويرحمني الله ويرزقني طفلاً».

فأجابه الفقير: «أيها الملك، إذا قلت لك إنك سترزق بالأطفال، فماذا تعطيني؟».

أجاب الملك: «كل ما تطلبه أيها الفقير».

فقال الفقير: «لست بحاجة إلى المال والذهب، ولكني سأصلّي من أجلك، وسترزق بطفلين، وسيكون أحدهما لي».

ثم أخرج قطعتي حلوى وأعطاهما للملك وقال له:

«أيها الملك، خذ هاتين القطعتين من الحلوى، وأعطهما لأكثر اثنتين تحبهما من زوجاتك».

أخذ الملك قطع الحلوى وأخفاهما في صدره.

ثم قال الفقير: «أيها الملك، سأعود بعد سنة، وسيكون أحد الولدين اللذين سيولدان لي، والآخر لك».

قال الملك: «حسناً، موافق».

ثم مضى الفقير في طريقه. وعاد الملك إلى البيت وأعطى قطعة حلوى لكل زوجة من زوجتيه. وبعد مرور زمن، رزق الملك

Twitter: @ketab_n

بولدين، ثم قام الملك بإخفاء الولدين في غرفة تحت الأرض».

وانقضى زمن، وفي أحد الأيام ظهر الفقير، وقال:

«أيها الملك، أعطني ولدك».

فماذا فعل الملك؟ جاء بولدين من عبيده وادعى أنهما ولداه، وقدمهما للفقير.

وعندما كان الفقير جالساً هناك، كان ولدا الملك في غرفتهما التي بناها الملك تحت الأرض يتناولان طعامهما.

في اللحظة التي كان الفقير يتكلم فيها إلى الملك، حملت نملة جائعة حبة أرز من طعام الولدين، وخرجت بها متجهة إلى صغارها.

فإذا بنملة أقوى تخرج وتهاجمها لتأخذ منها حبة الأرز.

فقالت النملة الأولى: «أيتها النملة، لماذا تسرقين هذه الحبة مني؟ لقد عانيت من عرج في رجلي من زمن طويل، ولم أحصل إلاّ على حبة واحدة، وها أنذا أحملها لصغاري. ولدا الملك يجلسان في قبوهما ويتناولان الطعام. اذهبي وخذي حبة من هناك، لماذا تأخذين حبتي مني؟».

Twitter: @ketab_n

عندها تركتها النملة الثانية ولم تسرق الأولى بل ذهبت إلى حيث كان يأكل ولدي الملك طعامها.

عند سماعه ذلك، قال الفقير:

«أيها الملك، هذان ليسا ولديك، اذهب وأخرج الطفلين اللذين يأكلان طعامهما في القبو».

ذهب الملك واحضر الولدين. أختار الفقير أكبرهما ومضى في طريقه. وعندما وصل إلى البيت، قال لابن الملك بأن يخرج ويجمع روث البقر للوقود.

خرج ابن الملك لجمع روث البقر، وبعد أن جمع كمية منه، جلبه إلى البيت.

ثم نظر الفقير إلى ابن الملك، ووضع قدراً كبيرة على النار، وقال: «تعال إلى هنا يا تلميذي».

لكن أجابه ابن الملك: «الأستاذ أولاً، ثم التلميذ».

ثم أمره الفقير بأن يأتي إليه مرة ومرتين وثلاث، وفي كل مرة كان ابن الملك يقول: «الأستاذ أولاً، ثم التلميذ».

Twitter: @ketab_n

انقضّ الفقير على ابن الملك، محاولاً الإمساك به ورميه في المرجل الذي كانت النار مشتعلة تحته.

ثم، حمل الولد الرجل الفقير، ورمى به إلى المرجل، فاحترق، حتى استحال لحماً مشوياً. ثم رأى مفتاح الفقير معلقاً، فأخذه وفتح باب إحدى الحجرات، فوجد فيها الكثير من الرجال المحتجزين.

وكان في الكوخ حصانان وكلبا صيد وسيمرجان[1] ونمران. فأطلق ابن الملك سراح كافة المخلوقات، وأخرجها من البيت، وعادت جميعها شاكرة الله. ثم أطلق سراح كل الرجال الذين كانوا في السجن، وأخذ معه الحصانين والنمرين وكلبي الصيد والسيمرجين، وانطلق بها إلى بلاد أخرى.

وفي أثناء سيره، شاهد رجلاً أصلع الرأس يرعى قطيعاً من العجول. فنادى عليه الأصلع:«أيها الرجل، هل تستطيع أن تصارع؟».

رد عليه ابن الملك: «عندما كنت أصغر سناً قاتلت قليلاً، أما الآن إذا ما طلب أحدهم مني أن أصارعه، فلن أجبن وأدير ظهري. سأقاتلك».

(1) أحد الطيور الخرافية التي يكثر ذكرها في التراث الهندي (م).

Twitter: @ketab_n

قال الأصلع: «إذا غلبتك، تصبح عبداً لي، وإذا غلبتني، أصير عبداً لك».

استعد الرجلان، وبدأ الصراع، وصرعة ابن الملك.

ثم قال له: «سأترك معك حيواناتي، بينما أذهب إلى المدينة لأستمتع بالمشاهد. وسأعين النمر حارساً على ممتلكاتي، وأنت عبدي، ويجب أن تبقى هنا مع ممتلكاتي».

انطلق ابن الملك إلى المدينة ليتفرج على مناظرها ووصل إلى حوض سباحة. وجده جميلاً، وفكر في التوقف والاستحمام فيه، وبدأ بخلع ملابسه.

شاهدت ابنة الملك التي كانت تجلس فوق سطح القصر، العلامات الملكية عليه، وقالت: «هذا الفتى ابن ملك، وعندما أتزوج سأتزوج منه وليس من أي شخص آخر».

فأخبرت والدها: «أبي، أريد أن أتزوج».

قال الأب: «حسناً».

ثم أعلن الملك: «ليحضر كافة الرجال، كبارهم وصغارهم، اليوم في قاعة الضيوف، لأن ابنتي ستختار زوجاً لها».

Twitter: @ketab_n

تجمع كافة الرجال، وحضر الأمير المسافر، مرتدياً ملابس الفقير، قائلاً لنفسه: «لابد من أن أشاهد هذا الحفل اليوم». ثم دخل وجلس.

خرجت ابنة الملك وجلست في الشرفة، وجالت بنظرها على كل الجالسين. ولاحظت أن الأمير المسافر كان ضمن الجمع في ملابس رجل فقير.

قالت الأميرة لخادمتها: «خذي طبق الحناء هذا، واذهبي إلى ذلك المسافر الذي يرتدي ملابس رجل زاهد، ورشي عليه منه».

أطاعت الخادمة أمر الأميرة، واتجهت إليه، ورشت عليه من الطبق.

فقال الناس: «لقد أخطأت الخادمة».

لكن الخادمة ردّت: «لم تخطئ الخادمة، بل إن سيدتها هي التي أخطأت».

وبذلك زوّج الملك ابنته للفقير، الذي لم يكن في الواقع فقيراً، بل أميراً.

Twitter: @ketab_n

ما قرره القدر حصل في ذلك البلد، وتزوجا. لكن ملك المدينة كان حزيناً جداً في داخله، لأن ابنته لم تختر أياً من السادة والنبلاء الموجودين، بل اختارت ذلك الفقير، ولكنه كتم هذه المشاعر في قلبه.

وفي أحد الأيام قال الأمير المسافر: «ليخرج معي كل أصهار الملك للصيد اليوم».

وقال الناس: «ما الذي لدى هذا الفقير ليدعو الناس للخروج إلى الصيد».

ومع ذلك، فقد خرج معه الجميع للصيد، وحددوا مكان اللقاء عند حوض معين.

ذهب الأمير المتزوج حديثاً إلى حيواناته وأوعز لنمريه وكلبيه بأن تصطاد أكبر عدد الغزلان والأيائل. وعلى الفور، قامت الحيوانات بقتل أعداد كبيرة وأحضرتها، وبعد أن أخذ معه طرائده من الصيد، وصل الأمير إلى الحوض الذي حدده كمكان للقاء. تجمع الأمراء الآخرين، وأصهار الملك، هناك. ولكنهم لم يجلبوا معهم صيداً، فيما جلب الأمير الجديد الكثير منه. ثم عادوا إلى بيوتهم في المدينة، وتوجهوا إلى الملك لتقديم هداياهم.

Twitter: @ketab_n

ولأن الملك لم يكن له ولد، أخبره الأمير الجديد أنه هو الآخر أمير، وعند سماعه هذا الكلام، فرح الملك كثيراً، وأخذه بالأحضان وعانقه. وأجلسه إلى جانبه بنفسه، وقال: «أيها الأمير، أقدر لك مجيئك إلى هنا، وزواجك من ابنتي، وإني أورثك حكم مملكتي هذه».

Twitter: @ketab_n

لماذا ضحكت السمكة؟

ذات مرة، مرّت بائعة سمك بأحد القصور وراحت تنادي على أسماكها، فظهرت الملكة عند النافذة وأمرتها بأن تقترب لتريها ما لديها. في تلك اللحظة قفزت سمكة كبيرة جداً في قعر السلة.

سألتها الملكة إن كانت السمكة ذكراً أم أنثى. وأضافت:

«أرغب في شراء سمكة أنثى».

عند سماعها هذا الكلام، ضحكت السمكة بصوت عال.

أجابت بائعة السمك: «إنه ذكر». ثم مضت في طريقها.

عادت الملكة إلى غرفتها وهي تتميز غضباً، وعندما حضر الملك للقائها في المساء، لاحظ أن شيئاً ما قد كدّرها.

فسألها: «هل أنت متوعكة؟».

«كلا، ولكنني منزعجة جداً من سلوك غريب لسمكة،

Twitter: @ketab_n

جلبتها لي امرأة اليوم، وعندما سألتها إن كانت ذكراً أم أنثى، ضحكت السمكة بطريقة فظة جداً».

«سمكة تضحك؟ مستحيل! لابد من أنك كنت تحلمين».

«لست غبية. أنا أتكلم عما شاهدته بعيني، وما سمعته بأذني».

«غريب جداً! إن كان كذلك، سأستفسر عن الأمر».

في الصباح، أعاد الملك سرد ما حكته له زوجته على وزيره، وأمره بأن يتحقق من الأمر، وأن يقدم إجابة شافية خلال ستة شهور، وإلا كانت عقوبته الموت.

وعد الوزير بأن يبذل قصارى جهده رغم أنه كان متأكداً تقريباً من الإخفاق. وقد سعى دون كلل طوال خمسة أشهر ليجد سبباً لضحكة السمكة لكن دون جدوى.

بحث في كل مكان وسأل الجميع من حكماء ومتعلمين وعارفين بشؤون السحر وكل أساليب التحايل، ورغم ذلك لم يستطع أحد تفسير الموضوع، وهكذا عاد محطم القلب إلى بيته، وبدأ بترتيب الأمور بانتظار موته المحتم، لأنه كان يعرف تماماً الملك وأن صاحب الجلالة لا يمكن أن يتراجع عن تهديده. ومن

Twitter: @ketab_n

بين الأمور الأخرى، نصح ولده بأن يسافر لفترة من الزمن، حتى يهدأ غضب الملك بطريقة ما.

انطلق الفتى الذي كان ذكياً ووسيماً حيثما يقوده نصيبه. وكان قد مض على ارتحاله أيام عندما التقى مزارعاً مسناً كان هو الآخر في رحلة إلى إحدى القرى. وحين وجد الفتى أن الشيخ شخص لطيف، سأله إن كان بإمكانه مرافقته، قائلاً إنه في زيارة إلى المكان نفسه. وافق المزارع، ومشيا معاً. كان اليوم حاراً والطريق طويلاً وشاقاً.

قال الشاب: «ألا تعتقد أنه سيكون من الممتع أكثر لو تبادلنا الأدوار أنا وإياك وحمل أحدنا الآخر؟».

فكر المزارع مع نفسه: «أي أحمق هذا الفتى؟».

اجتازا إحدى حقول الذرة الجاهزة للحصاد، وبدا الحقل وكأنه بحر ذهبي تتراقص فيه السنابل بفعل النسيم.

وسأل الشاب: «هل هذا مأكول أم لا؟».

ولأنه لم يفهم قصده، رد الشيخ: «لا أدري».

Twitter: @ketab_n

وبعد فترة وجيزة وصلا إلى قرية كبيرة، فأعطى الفتى لصاحبه سكيناً قابلاً للطي، وقال له: «خذ هذه أيها الصديق واحصل على حصانين بها، ولكن تذكر أن تعيدها، لأنها ثمينة جداً».

دفع المزارع، الذي كان مستمتعاً وغاضباً في ذات الوقت، السكين إلى الوراء، وراح يدمدم في سره بأن صديقه هذا إما أنه مجنون وإما أنه يحاول أن يلعب عليه دور المجنون.

تظاهر الفتى أنه لم يلاحظ ردة فعله، وبقي صامتاً طوال الطريق تقريباً حتى وصلا إلى المدينة، ولم يكن بيت المزارع العجوز يبعد عنها سوى مسافة قصيرة. تجوّلا في السوق وذهبا إلى المسجد، ولم يسلم أحد عليهما أو يدعوهما إلى الجلوس والاستراحة.

فقال الفتى متعجباً: «أي مقبرة كبيرة هذه المدينة؟».

فكر المزارع العجوز في سره: «ماذا يقصد هذا الرجل، يسمّي هذه المدينة الكثيفة السكان مقبرة؟».

وحين غادرا المدينة، مرا بمقبرة، حيث وجدا بعض الأشخاص يؤدون الصلاة إلى جانب قبر ويوزعون الخبز الخفيف والمحشو على عابري السبيل، ترحماً على روح قريبهم الميت. فرحبوا بالمسافرين وأعطوهما قدر ما يريدان من الخبز.

Twitter: @ketab_n

فقال الشاب: «يا لها من مدينة رائعة!».

«لابد من أن هذا الرجل مجنون»، هكذا فكر المزارع وأضاف قائلاً في نفسه: «من يعلم ما الذي سيفعله في المرة القادمة؟ ربما يجد اليابسة بحراً، والبحر يابسة، والنور ظلاماً والظلام نوراً». ولكنه احتفظ بأفكاره لنفسه.

في هذه اللحظة، اضطر إلى الخوض في مياه نهير يجري على امتداد طرف المقبرة. وكان الجدول عميقاً، لذلك خلع الشيخ خفيه وسرواله، وعبر النهر، لكن الفتى خاض في الماء مرتدياً سرواله وخفيه.

فكّر العجوز: «طيب، لم أر في حياتي مجنوناً كهذا، شكلاً ومضموناً».

ولكنه أحب الفتى وظن أنه سيكون مصدر متعة لزوجته وابنته، ودعا للدخول والبقاء في بيته طالما أن لديه أشغالاً تبقيه في القرية.

رد الفتى: «شكراً جزيلاً لك، ولكن اسمح لي بأن أستفسر منك إن كانت دعامات بيتك قوية أم لا؟».

Twitter: @ketab_n

تركه المزارع يائساً ودخل بيته وهو يضحك.

وقال لأهله: «هناك شاب في الحقل، رافقني معظم الطريق، ودعوته للإقامة عندنا ما دام في هذه القرية. لكن الفتى مخبول حتى إنني لا أن أفهم كلمة مما يقول. فهو يريد أن يعرف إن كانت دعامات بيتنا على ما يرام. الرجل مجنون!». ثم استغرق في الضحك.

قالت له ابنته التي كانت ذكية ولمّاحة: «أبي، هذا الرجل، أياً كان، ليس بأحمق كما تراه. بل هو يرغب في أن يعرف إن كنت تستطيع استضافته أم لا».

أجاب المزارع: «بالطبع، أستطيع. فهمت، ربما تستطيعين مساعدتي في فك ألغاز بعض أسراره الأخرى. فبينما كنا نمشي معاً، سألني إن كنت أريد أن أحمله أو يحملني، لأنه يعتقد أن تلك طريقة أكثر متعة في السفر».

قالت: «بالتأكيد، كان يقصد أنه يفضل أن يحكي أحدكما قصة للآخر لتزجية الوقت».

«فهمت، ولكن خلال مرورنا بحقل ذرة، سألني إن كانت الذرة مأكولة أم لا».

Twitter: @ketab_n

«ألم تعرف المعنى، يا أبتي؟ أراد أن يعرف ببساطة إن كان الفلاح مديناً أم غير مدين، فإذا كان صاحب الحقل مديناً، عندها يكون الحاصل وكأنه قد أكل، وهذا يعني، أن حاصله سيذهب لدائنيه».

«أجل، أجل، أجل، طبعاً! ثم، عندما دخلنا قرية، طلب مني أن آخذ سكين الجيب التي معه، وأن أجلب حصانين، ثم أعيد إليه سكينه».

«ألا ترى أن عصاتين قويتين هما بمثابة حصانين يعيناكما على أعباء الطريق؟ لم يطلب منك سوى أن تقطع قطعتين من الخشب وأن تحذر ألا تفقد السكين».

قال المزارع: «فهمت، ولكن في أثناء سيرنا في المدينة، لم نلتق من يعرفنا، ولم يعطنا أحد ما لنأكله، حتى مررنا بمقبرة، فنادى علينا بعض الأشخاص ووضعوا في أيدينا خبزاً وكعكاً وقد وصف مرافقي المقبرة مدينة والمدينة مقبرة».

«هذا أمر مفهوم، يا أبي، فهو يعتبر أن المدينة هي المكان الذي يحصل فيه المرء على كل شيء، وأن البخلاء هم أسوأ من الموتى. وأن المدينة، رغم أنها تعج بالناس، كانت ميتة. في حين أن المقبرة، رغم أنها مزدحمة بالموتى، فقد وجدتم من يحييكما

Twitter: @ketab_n

من الأصدقاء الطيبين ويعطيكما الخبز».

قال المزارع المندهش: «صدقت، صدقت يا ابنتي. والآن، عندما كنا نجتاز النهير، خاض في الماء من دون أن يخلع خفيه وسرواله».

قالت الفتاة: «أنا معجبة بحكمته، غالباً ما كنت أفكر في مدى غباء الناس وهم يغامرون بالخوض في ذلك التيار الجارف السريع وفوق تلك الصخور الحادة وهم حفاة. وما إن يتعثروا حتى يسقطوا ويبتلوا من الرأس إلى أخمص القدمين. صديقك هذا في غاية الحكمة. أرغب في لقائه والتحدث إليه».

قال الأب «حسن جداً، سأخرج وأدعوه إلى الدخول».

قالت له ابنته: «قل له يا أبتي إن أعمدة بيتنا قوية بما فيه الكفاية، عندها سيدخل. وسأرسل له هدية مقدماً، لأبيّن له أننا نستطيع إكرامه كضيف لدينا».

وعلى ذلك، استدعت أحد الخدم وأرسلته حاملاً معه طاساً من السمن واثني عشر قرصاً من الخبز وجرة من الحليب، والرسالة التالية: «أيها الصديق، القمر بدر، واثنا عشر شهراً تكون سنة، والبحر يفيض بالمياه».

Twitter: @ketab_n

وبينما الخادم متجه إليه أوقفه ولده الصغير، وتوسله بعد أن رأى محتويات السلة، أن يعطيه شيئاً من الطعام، فوافق الأب الأحمق على طلب ولده. بعدئذ رأى الفتى، وسلمه بقية الطعام والرسالة.

فرد عليه الشاب: «بلّغ سيدتك مني السلام، وقل لها إن القمر جديد وإني لا أجد سوى أحد عشر شهراً في السنة، وإن البحر غير ممتلئ».

ومن دون أن يفهم مغزى كلماته، كرر الخادم رسالة الشاب كلمة بكلمة كما سمعها، لسيدته، وهكذا تم الكشف عن سرقته، وعوقب عقاباً شديداً.

بعدها بفترة وجيزة، أدخل المزارع الفتى إلى بيته. وأولوه عناية كبيرة، وعاملوه وكأنه أحد أبناء رجل عظيم، رغم أن مضيفه المتواضع لم يكن يعلم شيئاً عن أصوله. وأخيراً، حكى لهم كل شيء، وعن ضحكة السمكة، والتهديد بإعدام والده، وإبعاده عن بلاده، وطلب مشورتهم بشأن ما يمكنه فعله.

قالت الفتاة: «ضحكة السمكة التي يبدو أنها السبب في كل هذه المصاعب، تشير إلى أن هناك رجلاً في القصر يتآمر على حياة الملك».

قال ابن الوزير مبتهجاً: «لدي وقت للعودة وإنقاذ حياة أبي

Twitter: @ketab_n

من موت ظالم وشنيع وإنقاذ الملك من الخطر».

في اليوم التالي أسرع عائداً إلى وطنه، مصطحباً معه ابنة المزارع. وحال وصوله، هرع إلى القصر وأبلغ أباه بما سمعه. فانتقل الوزير المسكين الذي كاد أن يموت من انتظاره للموت، إلى الملك، وأعاد عليه قص الأخبار التي أتى بها ولده.

قال الملك: «هذا مستحيل».

رد الوزير: «لابد من أن يكون الأمر كذلك يا جلالة الملك، ولكي أثبت لك صحة ما سمعته، أتوسل إليك أن تأمر بحضور كافة الخادمات في قصرك، وتأمرهن بالقفز من فوق حفرة، وسرعان ما سنكتشف إن كان بينهن رجل».

أمر الملك بحفر الحفرة، وأمر كل الخادمات العاملات في القصر بالقفز من فوقها. حاولت جميع الخادمات، ولم تنجح سوى واحدة. وقد تبيّن أن الذي نجح في القفز كان رجلاً!

وهكذا اقتنع الملك، وأنقذ الوزير الوفي.

بعد ذلك تزوج ابن الوزير من ابنة المزارع وعاشا معاً بسعادة تامة.

Twitter: @ketab_n

العفريت ذو الشعر الأشعث

سرد المعلم[1] هذه الحكاية في جيتافانا[2] عن أخ توقف عن السعي إلى الخير. فقال المعلم له: «هل حقاً أنك توقفت عن كل المحاولات».

فأجاب: «نعم، أيها المعلم المبارك».

ثم قال المعلم: «يا أخي، في الأيام الخوالي، كان الحكماء يبذلون الجهود حيث يجب أن تبذل فيه، وهكذا وصلوا إلى المكانة الملكية».

ثم حكى قصة وقعت في قديم الزمان.

عندما كان البراهماداتا ملكاً لبنارس، ولد البوديساتا، كأحد أولاد ملكته الأولى. وفي يوم تسميته، سألوا ثمانمئة من الحكماء، بعد أن أشبعوا كل رغباتهم، عن علامات حسن طالعه.

---

(1) بوذا (م).

(2) ثاني معبد بوذي في الهند كان يلقي فيه بوذا تعاليمه وهو يقع في مدينة «سرافاستي» في ولاية أوتار براديش في الهند المعاصرة (م).

Twitter: @ketab_n

قدّم البراهمانيون الذين يعرفون بمهارتهم في التنبؤ بمثل هذه العلامات، رؤيتهم لما تخفيه الأيام، وأجابوا:

«أيها الملك، ابنك مليء بالخير، وعندما تموت سيصبح ملكاً، وسيكون مشهوراً ومعروفاً بمهارته بأستعمال الأسلحة الخمسة، وسيكون الرجل الأول في الهند». وبعد أن سمع ما كان الحكماء يريدون قوله، أطلقوا عليه اسم أمير الأسلحة الخمسة: السيف والرمح والقوس والفأس والدرع.

وعندما بلغ سن النضج، أي السادسة عشرة من عمره، قال له الملك: «يا ولدي، اذهب وأكمل تعليمك».

فسأله الفتى: «ومن سيكون معلمي؟».

«اذهب يا ولدي، إلى مملكة قندهار، وإلى مدينة تكسلا، هناك معلم بلغ من الشهرة أوسعها، أريدك أن تتعلم منه. خذ هذه، وأعطها له أجراً عن أتعابه». وأعطاه ألف قطعة من النقود، وصرفه.

Twitter: @ketab_n

غادر الفتى وتعلم على يد معلمه، واستلم الأسلحة الخمسة من معلمه كهدية، ثم ودّعه، وبعد أن ترك مدينة تكسلا، بدأ الفتى رحلته عائداً إلى بنارس، متسلحاً بأسلحته الخمسة.

وفي طريقه، وصل إلى غابة يسكنها عفريت ذي شعر أشعث كثيف. ولحظة دخوله إلى الغابة رآه بعض الأشخاص، فصرخوا به: «أيها السيد الشاب، ابتعد عن الغابة! هناك عفريت يعرف باسم ذي الشعر الأشعث، وهو يقتل كل إنسان يراه!».

حاولوا منعه لكن الفتى، واصل طريقه بدافع الثقة بنفسه من دون وجل وكأنه أسد في هيئة بشر. وحين وصل إلى وسط الغابة، برز العفريت له، وبدا طويلاً كالنخلة، ورأسه بحجم معبد الباجودا، وعيناه بحجم طبقين، ولديه نابان في خضم كل نتوءات فمه، وكان له وجه صقر، وبطن مرقشة ويدان وقدمان زرقاء.

فصرخ بالفتى: «إلى أين تمضي؟ قف! ستكون وجبة لي!».

فقال الفتى: «أيها العفريت، جئت إلى هنا واثقاً من نفسي. أنصحك بألا تقترب مني، فهذا سهم مسموم، سأطلقه عليك وأصرعك!».

Twitter: @ketab_n

وبهذا التهديد، وضع في قوسه سهماً مغمساً بسم قاتل، وأطلقه. لكن السهم التصق بسرعة بشعر العفريت. ثم أطلقَ سهماً وآخر، حتى أطلق خمسين سهماً التي التصقت جميعها بشعر العفريت.

أخرجها العفريت جميعاً ووضعها تحت قدميه، ثم تقدم تجاه الفتى، الذي استل سيفه وضرب به العفريت، مهدداً إياه فيما غاص سيفه الذي يبلغ طوله ثلاث وثلاثون بوصة في شعر العفريت! ثم ضربه الفتى برمحه، وهذا الآخر التصق، وضربه بهراوته، والتصقت هي الأخرى.

وحين لاحظ البوديساتا أن أسلحته التصقت بسرعة، وجّه حديثه إلى العفريت قائلاً: «أيها العفريت، ألم تسمع بي من قبل، أنا أمير الأسلحة الخمسة؟ وعندما دخلت إلى الغابة التي تسكن فيها لم أثق بقوسي وبقية الأسلحة. اليوم سأسحقك وأطحنك حتى تستحيل مسحوقاً!».

وهكذا أعلن عن عزمه، و ضرب العفريت بيده اليمنى ترافقها صيحة قوية. وسرعان ما التصقت بشعره، ثم ضربه بيده اليسرى، والتصقت هي الأخرى! ثم رفسه بقدمه اليمنى والتصقت، ثم باليسرى، والتصقت هي الأخرى! ثم نطحه برأسه، صارخاً به «سأسحقك!» والتصق بسرعة مثل البقية.

Twitter: @ketab_n

وهكذا وقع الشاب في الفخ خمس مرات، وأمسك به في خمسة أماكن، وبقي معلقاً، ولكنه لم يشعر بالخوف، ولم يظهر حتى أي توتر.

قال العفريت في نفسه: «هذا أسد في هيئة رجل! رجل نبيل! إنه أكثر من مجرد رجل! وها هو حبيس لدى شيطان مثلي، ولكنه لم يخف البتة. ومنذ أن قطعت عليه الطريق، لم ألتق رجلاً مثله. والآن، لماذا لا يبدو الخوف عليه؟».

خارت قوى العفريت حتى لم يعد قادراً على التهام الرجل، وسأله: «يا سيدي الشاب، لماذا لا تخاف الموت؟».

فأجاب الفتى: «ولِمَ أخاف، أيها العفريت؟ المرء يموت مرة واحدة في حياته. بالإضافة إلى ذلك، في داخلي صاعقة، فإن أكلتني، فلن تتمكن من هضمي، لأن الصاعقة ستدمر جوفك من الداخل إرباً إرباً، وتقتلك. وهكذا، سيقضي كلانا. ولهذا لا أخاف من أي شيء» (قصد الشاب بهذا السلاح سلاح المعرفة التي يحملها في داخله).

وعندما سمع العفريت ذلك، راح يفكر: «هذا الشاب يقول الحق. فقطعة من لحم مثل هذا الرجل – الأسد ستكون صعبة

Twitter: @ketab_n

الهضم عليّ، حتى لو كانت أصغر من حبة البازلاء، سأتركه يرحل!».

وهكذا، وخشية أن يموت، أطلق العفريت الفتى وقال: «يا سيدي الصغير، أنت أسد في هيئة إنسان! لن آكلك. سأطلق سراحك من بين براثني، مثلما يلفظ القمر من بين فكي الراهو[1] بعد الكسوف. عد إلى صحبك وأهلك!».

فقال الشاب «أيها العفريت، سأذهب كما تقول، فقد ولدت عفريتاً قاسياً ومصاص دماء، تلتهم لحم الآخرين وتشرب دمهم، لأنك كنت شريراً في حياتك السابقة، وإذا ما واصلت عمل الشر، ستنتقل من ظلام إلى ظلام، ولكن بعد أن رأيتني، ستجد من المستحيل ارتكاب أعمال الشر. فإنهاء حياة المخلوقات الحية، يجعلك تولد في شكل حيوان في عالم «بريتا»[2] أو تعود في جسم «آسورا»[3]، أو، إذا ما ولد المرء مرة أخرى كإنسان، فستكون حياته قصيرة بسبب شروره السابقة».

(1) في الأساطير الهندية الراهو هو الثعبان الذي يبتلع الشمس أو القمر ويتسبب بالخسوف أو الكسوف (م).

(2) في الأساطير الهندية والنصوص البوذية هو كائن خرافي يتحول إلى حيوان ويعاني من الجوع والعطش أكثر بكثير مما يعانيه البشر (م).

(3) في النصوص البوذية هو تجسيد الشر، الشيطان (م).

Twitter: @ketab_n

وبهذه الكلمات وبالنبوءة التي أطلقها، أبلغه الفتى بمساوئ الشرور الخمسة، وفوائد الفضائل الخمس، وبعد أن أخاف العفريت بطرق مختلفة، مثبطاً إياه حتى أخضعه وجعله ينكر نفسه، وعززه بالفضائل الخمس، دافعاً إياه إلى عبادة الرب الذي تقدم له الطاعة، وبعد ذلك تركه وغادر الغابة.

وعند مدخل الغابة أخبر الناس بكل ما حصل. وواصل مسيره إلى بنارس مسلحاً بأسلحته الخمسة. ثم أصبح ملكاً، وحكم بالعدل، وبعد أن وزّع الصدقات وقام بأعمال الخير توفي كما كتب له.

وبعد أن انتهى المعلم من سرد حكايته، غمره النور، وكرر مرتلاً هذه الأبيات من الشعر:

«من تحرر عقله وقلبه من الشهوات،

من يسعى إلى حياة الفضيلة

سيتمكن في الوقت الموعود

من كسر كل القيود،

التي تربطه إلى الحياة،

Twitter: @ketab_n

ويتوقف عن أن يكون».

وهكذا وصل المعلم إلى الذروة، من خلال الزهد، عندها أعلن الحقائق الأربع[1]، وبعد الانتهاء من إعلانها، وصل هذا الأخ إلى مرحلة النسك. ثم قام المعلم بعملية الربط، وأعطاه المفتاح لحكاية الميلاد تلك، قائلاً: «في ذلك الوقت كان أنجوليمالا[2] هو العفريت، ولم يكن أمير الأسلحة الخمسة سواي أنا نفسي».

(1) في العقيدة البوذية هذه الحقائق التي تسمى «حقائق الكائن الأعلى» أيضاً أي الكائن المتنور، هي: «طبيعة المعاناة» (أو العذاب أو الألم)، و«أصل المعاناة» و«انتهاء المعاناة» و«السبيل المفضي إلى إنهاء المعاناة» (م).

(2) من الشخصيات المهمة في العقيدة البوذية، وهو القاتل الذي يتوقف عن قتل الناس بعد الاهتداء إلى البوذية (م).

Twitter: @ketab_n

مدينة العاج وأميرتها الساحرة

في أحد الأيـام كان هناك أمير شاب يتدرب على الرمي بالسهام مع ابن رئيس وزراء والده، فأصاب أحد السهام مصادفة زوجة أحد التجار، التي كانت تجول في غرفة من الطابق العلوي من بيتها على مقربة منه. كان الأمير استهدف طائراً يقف على حافة نافذة تلك الغرفة، ولم تكن لديه أدنى فكرة عن وجود أحد هناك، وإلا ما كان ليصوّب سهامه في ذلك الاتجاه. وهكذا، ولأنهما لم يعرفا ما حدث، ابتعد الأمير وابن الوزير، الذي راح يسخر منه مازحاً لأنه لم يصب الطائر.

في تلك اللحظة جاء التاجر ليسأل زوجته عن شيء، فوجدها ممدة وبدت وكأنها ميتة وسط الغرفة ورأى سهماً نابتاً في الأرض على بُعد نصف ياردة من رأسها. وظناً منه أنها ميتة، هرع التاجر إلى النافذة وصرخ: «لصوص! لصوص! قتلوا زوجتي».

تجمّع الجيران بسرعة، وهرع الخدم إلى الطابق العلوي ليروا ما الذي جرى. وتصادف أن المرأة فقدت وعيها، وأنها لم تصب إلا

Twitter: @ketab_n

بجرح بسيط في صدرها حيث مسّها السهم. وما إن استعادت المرأة وعيها أخبرتهم أن شابين مرّا قرب المكان يحملان القوس والنشاب وأن أحدهما صوّب عن قصد عليها عندما كانت واقفة عند النافذة.

ما إن سمع التاجر ذلك حتى هرع إلى الملك وأخبره بما حصل. غضب الملك من مثل هذا التصرف الشرير المتهور. وأقسم بأنه سيوقع أشد عقوبة بالمجرم إذا ما تم الكشف عن هوية المجرم. وأمر التاجر بالعودة وطلب منه أن يتأكد إن كانت زوجته تستطيع تمييز الشابين لو رأتهما مرة أخرى.

قالت المرأة: «نعم، أعرفهما لو رأيتهما من بين كل الناس في المدينة».

عندما عاد التاجر حاملاً إجابة زوجته، قال الملك: «إذن، غداً سآمر كافة الذكور من سكان المدينة المرور أمام البيت، وستقف زوجتك عند الشباك وتؤشر على الرجل الذي ارتكب الفعل الشنيع».

صدر إعلان ملكيّ بهذا الخصوص. وفي اليوم التالي تجمّع كافة الرجال والفتيان في المدينة، من سن العاشرة فما فوق،

Twitter: @ketab_n

ومرّوا من أمام منزل التاجر. وتصادف أن الشابين قد أعفيا من إطاعة هذا الأمر، باعتبارهما ابن الملك وابن الوزير، ولكنهما مرّا بالحشد، وجاءا ليشاهدا «التاماشا» أو الاستعراض.

وما إن ظهرا أمام نافذة بيت التاجر، حتى عرفتهما زوجته، وعلى الفور أبلغت الملك بذلك.

تساءل الملك الذي كان حاضراً منذ البداية: «ابني وابن وزيري الأول! أي مثال أقدمه للشعب! فليعدما!».

قال الوزير: «ليس هكذا، يا صاحب الجلالة، أتوسل إليك، دعنا نسبر حقائق القضية بعمق. ألا ترى ذلك؟».

ثم توجّه بحديثه إلى الشابين: «لماذا فعلتما ذلك؟».

أجاب الأمير: «أطلقت سهماً على طير كان يقف على حافة نافذة مفتوحة في ذلك البيت، وأخطأته، وأعتقد أن السهم أصاب زوجة التاجر. ولو كنت أعلم أنها أو أي شخص آخر كان يقف بالقرب منه ما كنت أطلقت سهمي في ذلك الاتجاه».

قال الملك بعد أن سمع إجابته: «سنتحدث في الأمر في وقت لاحق. اصرف الناس فلم تعد من حاجة لوجودهم».

Twitter: @ketab_n

وفي المساء عقد الملك والوزير محادثات طويلة وجادة عن ولديهما. ورغب الملك بإعدامهما، لكن الوزير اقترح بأن ينفى الأمير من البلاد. واتفقا على ذلك في نهاية الأمر.

وتنفيذاً لذلك، وفي صباح اليوم التالي، رافقت سَرية صغيرة من الجنود الأمير إلى خارج المدينة وعندما وصلوا إلى آخر معقل من معاقل الحدود تجاوزهم ابن الوزير. وقد أسرع بكل ما أوتي، جالباً معه أربعة أكياس من «الموهر»[1] على صهوات أربعة من الخيول. وقال «ها أنذا» وقد رمى بذراعيه حول رقبة الأمير، وأضاف: «لأني لا أستطيع أن أتركك تذهب وحدك، فقد عشنا معاً، وسننفى معاً، ونموت معاً. لا ترجعني، إذا كنت تحبني».

أجاب الأمير: «مهلك. ماذا تفعل. قد أمرّ بالكثير من المشقات. فلماذا تغادر بيتك ووطنك وتأتي معي؟».

فقال ابن الوزير: «لأني أحبك ولن أكون سعيداً من دونك».

وهكذا سار الصديقان وخرجا من البلد، وكان الجنود والخيول وما تحمله من أحمال يسيرون خلفهما. وعند الوصول إلى موضع معين على حدود المملكة، أعطى الأمير الجنود قطعاً ذهبية وأمرهم بالعودة. أخذ الجنود النقود وغادروا، ولكنهم لم

(1) عملة هندية قديمة (م).

Twitter: @ketab_n

يذهبوا بعيداً، واختبأوا خلف الصخور والأحجار، وانتظروا حتى تأكدوا تماماً أن الأمير لا ينوي العودة.

وسار المنفيان في طريقهما، حتى وصلا إلى قرية قررا أن يقضيا الليلة تحت إحدى إشجارها. فأعدّ الأمير النار، وهيأ قطعاً من القماش لتكون أسرّة لهمها، فيما ذهب ابن الوزير إلى دكان البقال والخبّاز والجزار ليشتري عشاء لهما. وتأخر لسبب ما. وربما لم تكن المواد جاهزة، أو أن البقال لم يحضّر كل التوابل التي طلبها. وبعد انتظار لمدة نصف ساعة، نفد صبر الأمير، ونهض ليبحث عنه.

شاهد الأمير جدولاً صغيراً رائقاً على مسافة ليست بعيدة عن مكان استراحتهما، وبعد أن تبين أن مصدر النهر ليس على مسافة بعيدة، انطلق ليكتشفه. كان مصدر النهر بحيرة جميلة، تغطيها في ذلك الوقت من السنة زهور اللوتس الجميلة ونباتات مائية أخرى. جلس الأمير على الشاطئ، ومن شدة عطشه، غرف القليل من الماء بيديه ولحسن الحظ أنه نظر إلى يديه قبل أن يشرب، ولحظتها، ويا لدهشته، رأى صورة فتاة ساحرة الجمال تنعكس كاملة وصافية في الماء. نظر من حوله، آملاً أن يكون ذلك واقعاً وليس خيالاً، ولكنه، عندما لم ير أحداً، شرب الماء. ثم

Twitter: @ketab_n

أخذ جرعة أخرى من البحيرة، ومرة أخرى، شاهد الصورة في الماء الذي غرفه في راحة يده. جال بنظره من حوله، كما فعل من قبل، وفي هذه المرة رأى فتاة ساحرة تجلس عند الشاطئ المقابل من البحيرة. وما إن رآها، حتى فتن بحبها وسقط مغشياً عليه.

عندما عاد ابن الوزير ووجد النار لا تزال مشتعلة، والخيول مربوطة بأمان، وأكياس النقود مكدسة، من دون أن يجد الأمير، حار في ما يفعله. فانتظر قليلاً، ثم صاح، ولكن حين لم تأته أي إجابة، نهض وسار إلى النهر. وهناك، شاهد آثار قدمي صديقه.

ثم عاد في الحال ليأخذ معه النقود والخيول، واقتفى أثر الأمير إلى البحيرة، حيث وجده ملقى على الأرض كأنه ميت.

بكي ابن الوزير: «وأسفاه، وأسفاه». ورفع الأمير وصب على وجهه قليلاً من الماء وحمله. «وأسفاه، يا أخي، ما هذا؟ أرجوك لا تمت وتتركني على هذه الحال. تكلم! تكلم! لا أحتمل هذا».

وخلال دقائق، فتح الأمير عينيه، بعد أن أنعشه الماء، وراح ينظر من حوله مستغرباً.

قال ابن الوزير مذهولاً: «الحمدلله، ولكن ماذا جرى لك يا أخي؟».

Twitter: @ketab_n

صاح به الأمير: «ابتعد عني. لا أريد أن أقول لك شيئاً، أو أن أراك، ابتعد».

فرد عليه صديقه: «تعال، تعال، دعنا نغادر هذا المكان. انظر لقد جلبت بعض الطعام لك، والخيول وكل شيء. دعنا نأكل ونغادر».

«اذهب وحدك».

«أبداً، ما الذي حدث لك لتشعر بهذا النفور المفاجئ تجاهي؟ لقد كنا أخوين حتى وقت قريب، وها أنت تكره رؤيتي».

فقال الأمير: «لقد رأيت جنية، لم أرها سوى لهنيهة، وعندما لاحظت أنني كنت أنظر إليها غطت وجهها بأوراق زهرة اللوتس. آه، كم كانت جميلة! وعندما كنت أحدق فيها، أخرجت من صدرها صندوقاً عاجياً ورفعته نحوي. عندها فقدت الوعي. آه. لو استطعت أن تزوجني من هذه الفتاة، سأذهب معك إلى أي مكان». قال ابن الوزير: «آه يا اخي، لقد شهدت جنية حقاً، بل هي جنية الجنيات. فهذه ليست إلا جوليزار أميرة مدينة العاج. وقد عرفت ذلك من العلامات التي أعطتك إياها، ومن تغطية وجهها

Twitter: @ketab_n

بأوراق اللوتس عرفت اسمها[1]، ومن عرضها صندوقاً عاجياً، عرفت مكان وجودها. اصبر، واسترح واطمئن فأنا سأدبّر أمر زواجك منها».

وبعد أن سمع الأمير كلمات التشجيع هذه شعر بارتياح كبير، ونهض ثم أكل وسار مسروراً مع صديقه.

وفي طريقهما، التقيا رجلين ينتميان لعائلة من اللصوص. وكان عدد أفراد عائلتهم أحد عشر فرداً، عشرة إخوة وأخت تدير المنزل وتعد الطعام، بينما يخرج الإخوة، كل اثنين منهما معاً، ويسيرون في الاتجاهات الأربع في ذلك الجزء من البلد، ويسرقون المسافرين الذين لا يقدرون على مقاومتهم، أو يدعون الأشدّاء منهم للاستراحة في بيتهم، حيث تهجم عليه العائلة بكاملها ويسرقون ما لديهم من أموال. كان هؤلاء اللصوص يعيشون في مكان أشبه بقلعة، فيها غرف عديدة محصّنة وتحتها حفرة كبيرة، كانوا يرمون فيها جثث المساكين البائسين الذين يقعون مصادفة في أيديهم.

تقدم الرجلان بكل أدب وتوسلا إلى الشابين أن يأتيا ويقضيا الليلة في بيتهما. وقالا: «تأخر الوقت، وليس هناك قرية أخرى على مقربة من هذا المكان».

(1) جوليزار أي الخجولة متوردة الخدّين (م).

Twitter: @ketab_n

فسأل الأمير صاحبه: «هل تقبل دعوة هذين الرجلين الطيبين؟».

تجهّم ابن الوزير في إشارة إلى عدم الرضا. لكن الأمير كان متعباً، وبعد أن ظن أن تلك الإشارة لم تكن سوى نزوة من صديقه، قال للرجلين: «حسن جداً. هذا لطف منكما أن تطلبا منا المبيت عندكما».

وهكذا ذهب الرجال الأربعة إلى حصن اللصوص.

وبعد أن وجدا نفسهما في غرفة محكمة الإغلاق من الخارج، تحسّر المسافران على مصيرهما.

فقال ابن الوزير: «لا جدوى من العويل». وأضاف: «سأتسلق النافذة، وأرى إن كان هناك طريقة للهرب. وعندما وصل إلى النافذة قال هامساً: أجل! أجل، هناك في الأسفل حفرة محاطة بجدارٍ عالٍ. سأقفز وأستطلع الأمر. ابق أنت هنا وانتظر عودتي».

عاد في الحال وأخبر الأمير أنه رأى امرأة غاية في القبح، مفترضاً أنها مدبرة منزل اللصوص. وقد وافقت على إطلاق سراحهما شرط أن يتزوجها الأمير.

Twitter: @ketab_n

وهكذا قادتهما المرأة خارج المحبس عبر باب سري.

سألها ابن الوزير: «لكن أين الخيول والمتاع؟».

فردت عليه المرأة: «لا يمكنك أن تجلبها، ذلك أن الخروج من أي طريق آخر يعني أنك سترمي بنفسك إلى التهلكة».

«حسناً إذن. عليهم أن يخرجوا جميعاً من هذا الباب. لدي تعويذة أستطيع بها أن أجعل من الخيول نحيفة أو بدينة». وهكذا جلب ابن الوزير الخيول من دون أن يشعر به أحد، وبعد أن كرّر التعويذة، جعل الخيول تمر من فتحة الباب الضيقة وكأنها قطع من قماش، وعندما خرجت، أعادها إلى وضعها السابق. امتطى على الفور حصانه وأمسك بلجام الخيول الأخرى، ثم بعد أن طلب من الأمير أن يمسك بها، نزل عن ظهر حصانه. وجد الأمير فرصته في ذلك، وفي لحظة، ركب وراءه، تاركين المرأة خلفهما.

سمع اللصوص عدو الخيول، وهرعوا مطلقين سهامهم على الأمير ومرافقيه. فقتل أحد السهام المرأة.

وانطلقا على حصانيهما، حتى وصلا إلى قرية قضيا الليل فيها. وفي الصباح التالي، غادرا مرة أخرى، وسألا كل عابر

Twitter: @ketab_n

سبيل عن الطريق المؤدية إلى مدينة العاج. وأخيراً وصلا إلى المدينة المشهورة ونزلا في كوخ صغير تملكه عجوز، لم يخشيا منها أي أذى، واستطاعا أن يقيما عندها بأمان وراحة. في البدء، لم تحبذ العجوز فكرة إقامة المسافرين في بيتها، ولكن منظر النقود التي أسقطها الأمير في قعر كأس كانت أعطته فيها شيئاً من الماء، بالإضافة إلى إكرامية أخرى من ابن الوزير، جعلها تغير رأيها بسرعة ووافقت على السماح لهما بالبقاء لأيام قلائل.

وما إن انتهت من أعمالها، حتى حضرت العجوز وجلست مع ضيفيها، تظاهر ابن الوزير أنه يجهل أي شيء عن المكان والناس. وسألها: «هل لهذه المدينة اسم؟».

«بالتأكيد لها اسم، أيها المغفّل. فالقرى الصغيرة لها أسماء، وهذه المدينة لها اسم أيضاً».

«إذن ما اسم هذه المدينة؟».

«مدينة العاج. ألا تعرف ذلك؟ كنت أعتقد أن الاسم معروف في أرجاء المعمورة». وعند ذكر اسم مدينة العاج، تنهد الأمير بعمق وبدا ابن الوزير راغباً في أن يقول له: «اهدأ، وإلا انكشف سرنا».

Twitter: @ketab_n

وواصل ابن الوزير طرح أسئلته على العجوز: «وهل لهذه البلاد ملك؟».

«بالطبع، لها ملك وملكة وأميرة».

«وما أسماؤهم؟».

«الأميرة اسمها، جوليزار، واسم الملكة هو...».

قاطعها ابن الوزير ملتفتاً نحو الأمير الذي أخذ يحدق فيه مثل مجنون، وقال له بعد ذلك: «أجل نحن في المكان الصحيح. وسترى الأميرة الجميلة».

في صباح اليوم التالي لاحظ المسافران مدى اهتمام العجوز بزينتها، وترتيب شعرها وحليها وملابسها.

سألها ابن الوزير: «من القادم؟».

فأجابت العجوز: «لا أحد».

«إذن، إلى أين أنت ذاهبة؟».

«سأذهب لرؤية ابنتي التي تعمل خادمة عند الأميرة جوليزار، فأنا أقابلها والأميرة كل يوم. وكان يجب أن أذهب بالأمس، لو

Twitter: @ketab_n

لم تأتيا وتشغلا كل وقتي».

«ها، ها، أرجو ألا تذكري شيئاً بشأننا على مسامع الأميرة».

طلب منها ابن الوزير ألا تتحدث عنهما في القصر على أمل أن تفعل العكس وبذلك تعلم الأميرة بقدومهما.

وحين رأت الفتاة أمها، تظاهرت بالغضب الشديد، وسألتها: «لماذا لم تأتِ بالأمس؟».

أجابت العجوز: «يا عزيزتي، لأن مسافرين شابين، هما أمير وابن وزير، نزلا ضيفين عندي، وطلبا مني الاهتمام بهما. ولم يكن شغلي الشاغل سوى الطبخ والتنظيف والطبخ طوال اليوم. أنا لا أفهم الرجال».

وأضافت: «يبدو أحدهما مغفلاً فقد سألني عن اسم هذا البلد، واسم الملك، والسؤال ترى من أين أتى هذان الرجلان، بحيث أنهما لا يعرفان بهذه الأمور؟ إلا أنهما رائعان وثريان. فقد تكرّم كل واحد منهما عليّ بالنقود في الصباح والمساء».

بعد ذلك ذهبت العجوز وكررت ذلك للأميرة، وعندما سمعتها الأميرة، ضربتها ضرباً مبرحاً، وهددتها بأشد العقوبات

Twitter: @ketab_n

إن تحدثت مرة أخرى عن الغرباء في حضرتها.

وعندما عادت العجوز إلى البيت في المساء، عبّرت لابن الوزير عن أسفها لعدم تمكنها من الوفاء بوعدها في عدم إفشاء سرهما، وحكت له عن ضرب الأميرة لها لأنها تحدثت عن وجودهما وكل ما يتعلق بأمرهما.

«وأسفاه، وأسفاه»، قال الأمير الذي كان يستمع بلهفة لكل كلمة تنطق بها، وسأل: «ترى، كيف سيكون غضبها عندما ترى رجلاً؟».

قال ابن الوزير متسائلاً: «ستكون في غاية السرور لرؤية رجل. أنا أعرف ذلك ومن خلال معاملتها للعجوز، أفهم طلبها بأن تذهب وتقابلها خلال ليلة منتصف الشهر المظلمة».

قال الأمير مندهشاً: «الحمد لله».

وفي المرة التالية التي ذهبت بها العجوز إلى القصر استدعت «جوليزار» إحدى خادماتها وأمرتها بأن تسرع إلى الغرفة في أثناء حديثها مع العجوز، وإن سألت العجوز عن الأمر، أمرتها بأن تقول إن فيلة الملك فقدت عقلها وهاجمت المدينة والسوق في كل اتجاه، وتدمر كل شيء في طريقها.

Twitter: @ketab_n

امتثلت الخادمة لأمرها، ولأن العجوز خشيت أن تهاجم الفيلة بيتها وتقتل الأمير وصديقه، توسلت للأميرة أن تتركها تذهب. كانت لدى الأميرة أرجوحة مسحورة تطير بكل من يركبها وتحط به حيثما شاء، طلبت الأميرة من إحدى خادماتها بأن تحضر «الأرجوحة». وبعد أن أحضرتها الخادمة، أمرت العجوز بأن تصعد في الأرجوحة وتتمنى بأن تكون في البيت. وهكذا فعلت العجوز، وفي الحال حملتها عبر الهواء بسرعة وأمان إلى كوخها، حيث وجدت الضيفين سالمين.

قالت: «ظننت أني سأجدكما قتيلين في هذا الوقت. فقد أفلتت فيلة الملك وهاجت في الشوارع. وعندما سمعت بذلك قلقت عليكما. لذلك أعطتني الأميرة هذه الأرجوحة المسحورة لأعود بها إلى بيتي. ولكن تعالا، دعونا نخرج قبل أن تصل الفيلة وتدرك البيت».

قال ابن الوزير: «لا تصدقي ذلك، بل هي مجرد خدعة. كانت الأميرة تخدعك».

ثم همس في إذن الأمير قائلاً: «ستتحقق أمنيتك قريباً، وهذه الأشياء إشارات على ذلك».

Twitter: @ketab_n

مضت ليلتان من نصف الشهر المظلم، جلس الأمير وابن الوزير في الأرجوحة، وتمنيا بأن يهبطا في القصر. وخلال لحظة كانا هناك، وكان هناك كذلك ما كانا يبحثان عنه عند إحدى بوابات القصر، حيث كانت الأميرة تتشوق لرؤية الأمير مثلما كان هو يتوق لرؤيتها.

ويا له من لقاء سعيد!

قالت جوليزار: «أخيراً التقيت حبيبي وزوجي».

فقال الأمير: «ألف شكر لله على لقائي بك».

اتفق الاثنان على الزواج ثم افترقا، واحد يعيش في الكوخ والآخر في القصر وكان كلاهما يشعر بأنه أسعد إنسان في الوجود.

ومنذ ذلك الحين بدأ الأمير بزيارة الأميرة كل يوم ويعود إلى الكوخ ليلاً، وفي صباح أحد الأيام رجته أن يبقى معها دائماً، فقد كانت تخاف على الدوام من حدوث شر له، إذ يمكن أن يقتله اللصوص، أو يصيبه مرض يحرمها منه.

ولم تعد تتحمل العيش من دونه. وقد أثبت لها الأمير أن ليس هناك من سبب يدعوها إلى الخوف، وقال إنه يجب أن

Twitter: @ketab_n

يعود إلى صديقه في الليل، لأن صديقه ترك بيته ووطنه وخاطر بحياته من أجله، فضلاً عن ذلك، لولا مساعدة صديقه، لما تمكن من لقائها أبداً.

وافقت «جوليزار» في وقتها، ولكنها عزمت في سرها على التخلص من ابن الوزير بأسرع وقت ممكن. وبعد أيام من حديثهما، أمرت إحدى خادماتها بأن تعد شراباً وأعطت توجيهات خاصة بمزج سم في الشراب في أثناء إعداده، وحال تحضيره، أمرت بأن يبقى غطاء القدر فوقه كي لا يتسرب البخار السام. وعندما أصبح الشراب جاهزاً، أرسلته مع أحد الخدم إلى ابن الوزير ومعه رسالة تقول: «الأميرة، جوليزار، ترسل لك شيئاً ترحّماً على عمها المتوفي».

عند استلام الهدية اعتقد ابن الوزير أن الأمير أشاد به أمام الأميرة، ولذلك تذكرته بهذه الهدية، فأرسل لها التحية والشكر.

وفي وقت العشاء أخذ ابن الوزير قدر الحساء وخرج ليتناوله عند شاطئ النهر. وبعد أن أزاح الغطاء، رماه جانباً على العشب وغسل يديه. وخلال الدقيقة أو زهاء الدقيقة التي كان يغسل فيها يديه، تحوّل لون العشب الأخضر الموجود تحت غطاء القدر إلى اللون الأصفر، دهش ابن الوزير، وإذا انتابه الشك بوجود سم

Twitter: @ketab_n

في الحساء، أخذ قليل منه ورماه لبقرة كانت ترعى على مقربة منه. وما إن تناولته البقرة، حتى سقطت ميتة.

فقال ابن الوزير: «الحمد لله الذي أنقذني من الموت في هذا الوقت».

حين عاد الأمير في المساء كان ابن الوزير صامتاً وحزيناً. لاحظ الأمير التغير الذي طرأ عليه، وسأله عن السبب: «هل أن ذلك يعود إلى غيابي طويلاً في القصر؟».

وجد ابن الوزير أن الأمير لم يكن له يد في إرسال الحساء، ولذلك أخبره بكل شيء.

قال: «اسمع، في هذا المنديل شيء من الحساء الذي أرسلته الأميرة لي صباح هذا اليوم، ترحماً على عمها المتوفي. وهو مشبع بالسم. والحمد لله أني اكتشفت الأمر في وقته!».

«آه يا أخي، من يكون الفاعل؟ ومن الذي يكن لك العداء؟».

«الأميرة جوليزار. اسمع. في المرة القادمة التي تذهب للقائها، أرجو منك أن تأخذ شيئاً من الثلج معك، وقبل أن ترى الأميرة ضع قليلاً منه على عينيك. مما يتسبب في نزول الدمع

Twitter: @ketab_n

منهما، وستسألك جوليزار عن سبب بكائك فقل لها إنك تبكي لفقد صديقك، الذي مات فجأة صباح هذا اليوم. وخذ معك هذا النبيذ وهذه المجرفة وعندما تتظاهر بالحزن الشديد لموت صديقك، أطلب من الأميرة أن تشرب شيئاً من النبيذ. الشراب قوي وسيرسلها على الفور في نوم عميق. وفي أثناء نومها، سخّن المجرفة والسع ظهرها به ليترك أثراً. وتذكّر أن تعيد المجرفة، وأن تأخذ قلادتها المصنوعة من اللؤلؤ. وبعد أن تنتهي من ذلك، ارجع. لا تتردد في تنفيذ هذه التعليمات لأن مصيرك وسعادتك يعتمدان عليها. وسأجعل الملك والدها وبقية الحاشية يوافقون على زواج الأميرة منك».

وعده الأمير بأن ينفذ كل شيء كما أمره ابن الوزير وصدق في وعده.

في الليلة التالية، وبعد أن عاد الأمير من زيارته لجوليزار، توجّه وابن الوزير، وأخذا معهما الخيول وأكياس النقود، إلى مقبرة على بعد ميل أو أكثر. وقد اتفقا على أن يمثل ابن الوزير دور ناسك ويأخذ الأمير دور تلميذ الناسك وخادمه.

وفي الصباح، عندما استعادت جوليزار وعيها، شعرت بألم شديد في ظهرها، ولاحظت أن قلادتها المصنوعة من اللؤلؤ قد

Twitter: @ketab_n

اختفت. ذهبت في الحال وأبلغت الملك عن فقدان قلادتها ولم تقل له شيئاً عن الألم في ظهرها.

غضب الملك غضباً شديداً عندما سمع بالسرقة، وأصدر أمراً أعلن عنه في كافة أرجاء المدينة والأرياف المجاورة بضرورة القبض على اللص.

قال ابن الوزير عندما سمع بالإعلان: «هذا جيد، لا تخف يا أخي، لكن اذهب وخذ هذه القلادة، وحاول بيعها في السوق».

أخذها الأمير إلى أحد الصاغة وطلب منه أن يشتريها.

سأله الرجل: «كم تريد ثمناً لها؟».

فأجاب الأمير: «خمسون ألف روبية».

قال الرجل: «حسناً، ولكن انتظر هنا لأذهب وأحضر المال».

انتظر الأمير طويلاً، حتى عاد الصائغ أخيراً، ومعه رئيس الشرطة قبض على الأمير بتهمة سرقة قلادة الأميرة.

سأله الشرطي: «كيف حصلت على القلادة؟».

فقال الأمير: «أعطاني إياها فقير زاهد أعمل خادماً عنده،

Twitter: @ketab_n

لأبيعها في السوق، واسمح لي أن أدلك على مكان وجوده».

قاد الأمير رئيس الحرس والشرطي إلى المكان الذي ترك فيه ابن الوزير وهناك وجدوا الزاهد الفقير مغمضاً عينيه ومستغرقاً في الصلاة. وبعد أن انتهى من صلاته ودعائه سأله رئيس الحرس أن يوضح له كيف تسنّى له الحصول على قلادة الأميرة.

أجاب الزاهد: «ائتوني بالملك، وسأبلغ جلالته وجهاً لوجه».

ذهب بعض الرجال إلى الملك وأخبروه بما قال الرجل الفقير. حضر الملك، وبعد أن وجد أن الناسك كان وقوراً وجاداً في عبادته، خشي أن يثير غضبه، تجنباً للمجازفة بغضب السماء عليه، ولذلك ضمّ يديه معاً في حالة تضرّع وسأله: «كيف حصلت على قلادة ابنتي؟».

أجاب الفقير الناسك: «كنا في الليلة الماضية نجلس قرب هذا القبر نصلي لله، عندما دخلت سعلاة متنكرة في زي أميرة، ونبشت جثة كانت مدفونة هناك قبل سنوات، وبدأت بأكلها. بهذا المشهد، امتلأت غضباً، وضربت بمجرفة ساخنة على ظهرها، وفي أثناء هربها مني انفرطت قلادتها وسقطت. قد تتعجب من هذا الكلام، ولكن لا يصعب عليّ إثباته. فتش

Twitter: @ketab_n

ابنتك وستجد علامات الحرق على ظهرها. اذهب وإذا ما ثبت كلامي، أرسل الأميرة لي وسأعاقبها».

عاد الملك إلى القصر وفي الحال أمر بفحص ظهر الأميرة.

قالت إحدى الخادمات: «الكلام صحيح يا سيدي، فإن الحرق موجود».

صرخ الملك: «إذن اقتلوا البنت على الفور».

رد الجميع: «كلا! كلا، يا جلالة الملك، دعنا نرسلها إلى المتعبد الذي اكتشف هذا الأمر، ويفعل بها ما يشاء».

وافق الملك. وهكذا أخذت الأميرة إلى المقبرة.

قال الفقير الناسك: «احبسوها في قفص، وضعوها على مقربة من القبر الذي أخرجت الجثة منه».

وبعد أن تم ذلك، وخلال فترة قصيرة، ترك الفقير وتلميذه والأميرة وحدهم في المقبرة، وما إن حل الليل وغمر الظلام المكان، حتى خلع الفقير وتلميذه ملابسهما التي تنكرا بها، وبعد أن أخذا حصانيهما وحقائبهما، ظهرا أمام القفص.

Twitter: @ketab_n

أطلقا سراح الأميرة، ودهنا ظهرها بقليل من المرهم فوق ندوب الحرق، ثم امتطت الحصان خلف الأمير. وانطلقوا مبتعدين بسرعة، وفي الصباح تمكنوا من الاستراحة وتحدثوا عن خططهم بأمان. عرض ابن الوزير على الأميرة شيئاً من الحساء المسموم الذي كانت أرسلته له، وسألها إن كانت قد ندمت على نكران جميله. بكت الأميرة، واعترفت أنه كان أكبر عون وصديق لها.

أرسلت رسالة إلى الوزير الأول تخبره بكل ما حدث للأمير وابن الوزير منذ أن غادرا بلادهما. عندما قرأ الوزير الرسالة ذهب وأبلغ الملك بها. طلب الملك إرسال رد إلى المنفيين، وأمرهما فيه بعدم العودة، ولكن أرسل خطاباً إلى والد جوليزار أبلغه فيه بكل شيء. وهكذا كان. كتب الأمير الرسالة بإملاء من ابن الوزير.

غضب والد جوليزار – من قراءة الرسالة من وزرائه والموظفين الآخرين لفشلهم في اكتشاف وجود هؤلاء الغرباء المرموقين في بلاده سيما وأنه كان يأمل في الفوز بود الأمير وابن الوزير. وأمر الملك بإعدام بعض من وزرائه في موعد محدد.

Twitter: @ketab_n

كتب لابن الوزير: «تعال وأقم في القصر. وإذا كان الأمير يرغب بذلك، سأرتب له زواجه من جوليزار بأسرع ما يمكن».

قبل الأمير وابن الوزير دعوة الملك بسرور، واستقبلهم الملك استقبالاً يليق بالنبلاء، وأقيم حفل الزفاف بسرعة، وبعد أسابيع قليلة، منحهم الملك هدايا من الخيول والفيلة والمجوهرات والملابس الفاخرة، وأمرهما بأن ينطلقا في رحلتهما. لأنه كان متأكداً من أن الملك سيستقبلهما. وقبل ليلة من سفرهما، جاء الوزراء والمسؤولون الذين أمر الملك بإعدامهم حال مغادرة ضيوفه، وتوسلوا ابن الوزير أن يطلب لهم الرحمة ووعدوه بأن يزوجه كل واحد منهم ابنته. وافق على القيام بذلك، ونجح في الحصول على عفو عنهم.

غادر الأمير بصحبة عروسه «جوليزار الجميلة»، وابن الوزير، يرافقهم عدد من الجنود، وعدد كبير من الجمال والخيول التي حمّلت بالكثير من الكنوز، إلى بلادهم. وفي منتصف الطريق، مرّوا بحصن اللصوص، وبمساعدة الجنود، أزالوه وسووه بالأرض وقتلوا ساكنيه واستولوا على الكنز الذي كانوا يراكمونه هناك لسنوات.

Twitter: @ketab_n

وأخيراً وصلوا إلى بلادهم، وعندما رأى الملك زوجة ولده الجميلة، وبطانته المهيبة، تصالح معه في الحال، وطلب منه أن يدخل المدينة وأن يقيم فيها. وهكذا بقي طريق الأمير منيراً وأصبح شخصية محبوبة، وخلف والده على العرش، وحكم البلاد لسنوات وسنوات بسلام وهناء.

Twitter: @ketab_n

حكاية عشاء الشمس والقمر والريح

في يوم من الأيام، خرجت الشمس والقمر والريح لتناول العشاء مع عمهم الرعد وعمتهم البرق. فيما بقيت أمهم (واحدة من أبعد النجوم التي ترونها هناك في أعالي السماء) وحدها بانتظار عودة أولادها.

كانت الشمس والريح أنانيتين جشعتين. واستمتعتا بالمائدة الكبيرة التي أعدّت لهما دون أن تفكرا في توفير جزء من الطعام لتأخذاه إلى البيت إلى والدتهما، لكن القمر الرقيق لم ينسَ أمه. فمن كل صحن لذيذ قدّم له، كان القمر يضع قطعة صغيرة تحت كل إظفر من أظافره الطويلة الجميلة، لكي يكون للنجمة حصة في الوليمة.

وعند عودة أولادها، قالت الأم التي ظلت تتابع أولادها طوال الوقت بعينيها الصغيرتين البراقتين: «حسناً، يا أولاد، ماذا جلبتم لي؟». قالت الشمس وكانت أكبر الأطفال: «لم أجلب شيئاً لك، فقد خرجت لأمتّع نفسي مع أصدقائي، لا لأجلب عشاء لأمي!».

Twitter: @ketab_n

وقالت الريح: «وأنا أيضاً لم أجلب لك شيئاً، يا أمي، فلا يمكن أن تتوقعي مني أن آتي لك بمجموعة من الأشياء، وأنا خارجة لأمتّع نفسي».

ولكن القمر قال: «أمي، نظري ماذا جلبت لك».

وبعد أن هزّ يديه، وضع القمر أمامها تشكيلة من الأطعمة التي لم تشهدها من قبل.

حولّت النجمة الأم نظرها إلى الشمس وقالت: «لأنك خرجت لتمتّعي نفسك مع أصدقائك، واحتفلت واستمتعتِ، من دون أن تفكري بأمك في البيت فستحل اللعنة عليك، ومن الآن فصاعداً، ستبقى أشعتك ساخنة وحارقة إلى الأبد، وستحرقين كل من تلامسينه وسيكرهك الناس ويغطون رؤوسهم كلما طلعت».

وهذا هو السبب في كون الشمس حارة حتى يومنا هذا.

ثم توجّهت بكلامها إلى الريح وقالت: «أنت الأخرى نسيت أمك في خضم أنانيتك، اسمعي مصيرك، ستهبّين دائماً في الأجواء الحارة الجافة، وستتسببين في عطش وذبول كل الأشياء. وسيكرهك كل الناس ويتجنبوك من هذه اللحظة».

Twitter: @ketab_n

ولهذا السبب فإن الريح غير مقبولة في الأجواء الحارة.

لكنها قالت للقمر: «أما أنت يا عزيزي، فلأنك تذكرت أمك، واحتفظت لها بحصة من طعامك، فستكون من الآن فصاعداً منعشاً وهادئاً وساطعاً دائماً ولن يرافق أشعتك النقية أيّ شعاع ضار، وسيصفك الناس جميعاً بالمبارك دائماً».

ولهذا السبب فإن ضياء القمر رقيق وهادئ وجميل حتى يومنا هذا.

Twitter: @ketab_n

كيف تعرّض الأولاد العاقون للخداع؟

أرسل شيخ ثري جداً، حسب نفسه قد أوشك على الموت، في طلب أولاده وقسّم أملاكه فيما بينهم. ولكنه لم يمت لسنوات بعد ذلك. وكانت سنوات شقية. فبالإضافة إلى تعب الشيخوخة، كان على الأب تحمل الكثير من إهانات أولاده وقسوتهم.

وكم كان أولئك الأولاد ناكرين للجميل، أشقياء وأنانيين. في الماضي، كانوا يتنافسون مع بعضهم بعض في محاولة وكسب رضا والدهم، آملين أن يحصلوا على المزيد من المال، ولكن بعد أن حصلوا على ميراثهم، لم يأبهوا بالسرعة التي سيغادرهم فيها، بل كلما عجّل في الرحيل، كان ذلك أفضل، لأنه كان مجرد عبء وتكلفة غير ضرورية. ولم يبذل أولئك الأولاد جهداً حتى لجعل والدهم المسكين لا يرى حقيقة شعورهم تجاهه.

في أحد الأيام التقى صديقاً وسرد له ما يمرّ به من مصاعب. فتعاطف معه الصديق كثيراً ووعده بأن يفكر في الأمر، ويزوره في أقرب فرصة وينصحه بما يجب أن يفعل.

Twitter: @ketab_n

وهكذا فعل. فخلال أيام عاد الصديق لزيارة الشيخ حاملاً أربعة أكياس مليئة بالحجر والحصى ووضعها أمامه.

وقال له: «انظر أيها الصديق. سيعلم أولادك بمجيئي اليوم اليوم، وسيسألون عن الزيارة. يجب أن تتظاهر بأني جئت لأرد لك ديناً قديماً، وأنك بت الآن تملك عدة آلاف من الروبيات وصرت أغنى مما كنت تعتقد. احتفظ بهذه الأكياس، ولا تدع أولادك بأي حال من الأحوال يصلون إليها طالما حييت. وسرعان ما ستجدهم يغيّرون من سلوكهم نحوك. سلام. سأعود قريباً لأطمئن عليك».

عندما سمع الأولاد بزيادة الثروة، بدأوا يبدون المزيد من الاهتمام بوالدهم ويسترضونه أكثر من ذي قبل. وهكذا استمروا حتى يوم وفاته. وعندما فتحوا الأكياس بكل جشع، لم يجدوا فيها سوى الحجر والحصى.

Twitter: @ketab_n

الحمامة والغراب

في زمن ما ولد بوذا في هيئة حمامة وسكن في عش على شكل سلة كان طباخ أحد الأثرياء يعلقها في المطبخ لكي يتبرك بوجودها. رأى غراب جشع إن يحلق على مقربة من المطبخ حيث كل أصناف الأطعمة اللذيذة، وهبط بدافع الجوع وقال لنفسه: «كيف لي أن أنال شيئاً من الطعام؟».

وأخيراً توصل الى خطة. عندما خرجت الحمامة بحثاً عن طعام تبعها الغراب خلسة. سألته الحمامة: «ماذا تريد يا سيد غراب؟ أنا وأنت لا نأكل الطعام نفسه».

«صحيح لكني أحبك وأحب أساليبك، فاسمحي لي بأن أكون رفيقاً لك وأن نأكل معاً»

وافقت الحمامة وخرجا معاً. تظاهر الغراب بأنه يأكل مع الحمامة ولكنه واصل النظر الى الوراء وراح ينقر ويقطع إلى قطع صغيرة كومة من روث البقر، ويأكل دودة سمينة. وبعد أن ملأ بطنه منها، طار محلقاً، بنشاط وحيوية وقال: «مرحباً يا سيدة حمامة، يا له من وقت رائع تقضينه في تناول وجبة طعامك!

Twitter: @ketab_n

لابد للمرء من أن يعترف بذلك. فلنعد إلى البيت قبل أن يتأخر الوقت». وهكذا عادا.

لاحظ الطباخ أن حمامته استقدمت صديقاً، فعلّق سلة أخرى له. وبعد ذلك بعدّة أيام، وصلت كمية كبيرة جداً من السمك إلى مطبخ الثري. وكم كان توق الغراب لها كبيراً! استلقى في السلة، وفي الصباح الباكر، راح يئن ويحدث ضجة كبيرة. فقالت الحمامة للغراب: «يا سيدي الغراب، تفضل لكي نذهب ونتناول الإطار».

«آه يا عزيزتي، أشعر بنوبة سوء هضم ولا أستطيع الخروج معك».

قالت الحمامة: «هراء، لا تعاني الغربان من سوء الهضم، فحتى لو أكلت فتيلة مصباح، فإنها لا تبقى في معدتك سوى هنيهة، أما الأشياء الأخرى فلا تبقى سوى لحظات قليلة بعد أن تأكلها. والآن افعل ما أنصحك به، ولا تتصرف بهذه الطريقة لمجرد أنك رأيت سمكة صغيرة».

«لماذا تقولين ذلك، يا سيدتي؟ أنا أعاني من سوء الهضم».

فقالت الحمامة: «حسناً، إذن كن حذراً». ثم طارت مبتعدة.

Twitter: @ketab_n

قام الطاهي بإعداد كل الأطباق، ثم وقف عند باب المطبخ، فكر الغراب في نفسه قائلاً: «والآن جاء دوري».

وأغار على طبق كان فيه طعام شهي. طق! سمع الطاهي صوت النقر، ونظر من حوله. آه، أمسك بالغراب، ونتف كل الريش عن رأسه، إلا ريشة واحدة، ثم قام بسحق الزنجبيل والكمون، وخلطهما مع حليب الزبدة، ومسح المزيج على جسم الغراب بالكامل.

قال الطاهي: «هذا عقاب لك على إفساد عشاء سيدي مما اضطرني إلى رميه»، ثم وضع الغراب في السلة. آه، كم كان ذلك مؤلماً!

في هذه الأثناء دخلت الحمامة، وشاهدت الغراب مستلقياً هناك، مصدراً ضجة كبيرة. وراحت تسخر منه، وألقت على مسامعه أبياتاً من الشعر:

«من هذا الكركي المنتّف الريش الذي أرى،

الراقد هناك حيث لا يحق له أن يكون؟

اخرج يا صديقي، فالغراب قريب،

Twitter: @ketab_n

وأخشى أن يلحق بك الأذى!».

فرد عليها الغراب:

«لست كركياً منتف الريش أنا،

كلا، فما أنا إلا غراب جشع،

لم ألتزم بما أمرت،

فنتف ريشي، كما ترين».

راحت الحمامة تنشد مستمتعة بمقطع آخر:

«أعرف أنك ستعود إلى الحزن من جديد،

فهذا هو طبعك،

وتذكر أنه إذا ما طهى الناس طبقاً من اللحم،

فهم لا يطبخونه لتأكله الطيور الصغيرة».

ثم طارت الحمامة مبتعدة وقالت: «لا أستطيع العيش مع هذا المخلوق بعد الآن»، فيما بقي الغراب مستلقياً هناك يئن حتى مات.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والرياضيات / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

ISBN 978-9948-01-352-5

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE